4 me Année, No. 177

Lundi - 23 - 11 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٥٣٠١٣

العـــدد ١٧٧ « القاهرة فى يوم الأثنين ٩ رمضان سنة ١٣٥٥ — ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

صفحة		
١٩٠١	محمد فريد	أحمد حسن الزيات ... ...
١٩٠٣	القلب المسكين	الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
١٩٠٥	الوهم	الأستاذ ابراهيم عبدالقادر المازنى
١٩٠٧	أثر البيئة فى الأدبين العربى والانجليزى ...	الأستاذ فخرى أبو السعود ...
١٩١٠	خطر الفاشستية على سلام العالم	باحث دبلوماسى كبير ... ...
١٩١٣	نظرية النبوة عند الفارابى	الدكتور ابراهيم بيومى مدكور
١٩١٦	نقد ابن أبى عتيق ...	الأستاذ خليل هنداوى ... ...
١٩١٨	فى الحياة	الأستاذ السيد محمد زيادة ... ...
١٩٢٠	بغير عنوان	الأستاذ على الطنطاوى ...
١٩٢١	إلى الأستاذ محمد عبد الوهاب	الأستاذ محمد زروق ... ...
١٩٢٥	الفصل فى نبوة المتنبى	الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
١٩٢٨	تاريخ العرب الأدبى ...	الأستاذ رينولد نيكلسون ...
١٩٣١	هكذا قال زرادشت ...	تأليف نيتشه وترجمة الأستاذ فارس
١٩٣٣	على شواطئ البسفور	الأستاذ محمد بهجة الأثرى ...
١٩٣٤	مناجاة زهرة (قصيدة)	أحمد فتحى مرسى ... ...
١٩٣٥	تذكرة سفر من طنطا إلى سقر (قصة) ...	الأستاذ ابراهيم جلال بك ...
١٩٣٧	أوجين أونيل الفائز بجائزة نوبل للآداب	
١٩٣٧	جائزة نوبل للعلوم الطبيعية والكيمياء . وفاة شاعر مجرى كبير	
١٩٣٨	فى الأكاديمية الفرنسية . أنباء الزمن فى أخبار اليمن ...	
١٩٣٨	فكرة العصبية عند ابن خلدون	
١٩٣٩	التأليف والترجمة للمسرح	ناقد الرسالة الفنى ... ...

٧٠٥١

زهرات على قبر

محمــــد فريد

بمناسبة ذكراه السابعة عشرة

ما كان أحقَّنا ونحن نجنى ثمرات الجهاد، ونعقد أقواس النصر، ونُحَيِّي بطولة الزعماء، ونُحيي ذكرى الشهداء، أن نضع إكليلاً من الزهر الندىّ على قبر الشهيد الأول محمد فريد!

لقد استُشْهِدَ في مثل هذا الأسبوع الذى وقع فيه موافقة البرلمان على المعاهدة؛

واحتفال الشعب بذكرى الضحايا ، فكيف غفل اللسان الذاكر وذهل الفؤاد العروف عن تحية المجاهد الصابر والمضطهد المهاجر والصريع المحتسب ؟ وما أقلّ التحية للذين نفروا لخلاص الوطن لايبتغون ثراء ولادَعة ، وهاجروا فى سبيل الحرية لايجدون مراغماً ولا سَعة ، ولفظوا أنفسهم فى منازح الغربة ومضاجع البؤس حسرة فحسرة !

هذه دورهم ، كان للعزة فى أفيائها مَرَاد ، وللنعمة فى أفنائها رَبيع ، فتقوض فيها المجلس وانصرف عنها اللاجىء وتعاقب عليها مالك بعد مالك ! وهذه قبورهم ، تناوحت عليها سوافى الرياح فطمست الشاهد وأبهمت الأثر وتناهبها هالك بعد هالك ! وهذه ذكرياتهم ، ملأت المسامع وعمرت القلوب حيناً من الدهر ، ثم أوشكت اليوم لِكُنود الناس أن تغوص فى لجج النسيان والعدم ! وهذه أرواحهم ، كانت فى المحن السود تباكرنا بالعزاء وتراوحنا بالأمل وتغادينا بالمعونة ، ثم أقبلت ساعة النصر تخفق فخورة مع العلم ، وتصفق مؤيدة مع البرلمان ، وتهتف مبتهجة مع الأمة ، ولكنها لم تسمع وا أسفاه مَن بادلها تحية برحمة ، وجازاها وفاء بدعاء !

إن الشريعة تنسخ الشريعة ، والفكرة تطرد الفكرة ، والجديد يخلف القديم ، ولكن الجهاد فى سبيل الوطن غاية لكل جيل فى طريقها خطوة ، وبناية لكل عامل فى إقامتها حجر ؛ والخطوة اللاحقة لا ترد الخطوة السابقة ، والحجر الأعلى لاينقض الحجر الأسفل . والمثُل العُليا من الرجال قليلة فى عهدنا الحديث ؛ فما أولانا أن نضن بهم على الفناء ، فننصب تماثيلهم فى كل ميدان ، وندرس تاريخهم فى كل معهد ، ونرفع ذكرهم فى كل مناسبة

* * *

واحسرتاه على حظ فريد من أمته ! حبس عليها ثروته ورضى بالجوع ، ورصد لها قوّته وصبر على المرض ، وضحى لها أسرته وعاش على التشريد ، ثم كان نصيبه منها برّاً لايسعف ، وتقديراً لا يدوم ، وذكراً لا يتصل ، وقبراً لا يعرف !

كان فريد — برد الله ثراه وخلد ذكراه — سليل مجد ورَبيب نعمة وحليف جاه ؛ وكان سبيله فى الحياة سبيل كل أمير وكل كبير : يغتصب ثروته من عرق العامل ، وقوّته من دم الفقير ، وميسرته من دمع البائس ، وجبروته من ظلم الضعيف ؛ ولكنه تنكب طريق المترفين واتبع هادى الفطرة ، فدخل به فى سواد الشعب وقرّنه فى أغلاله وشركه فى ذله ، فدفعته الحمّة الحرة إلى أن يتطوع لانهاضه بجهده ، ويتبرع لانقاذه بماله ؛ ثم اتصل برسول الوطنية يومئذ مصطفى كامل ، فكان منه مكان أبى بكر من محمد ، ومصطفى النحاس من سعد ؛ رفع معه ألوية الجهاد على سواعد الشباب الفتية ، ثم خلفه على تكاليف الدعوة من جهد و بذل وتضحية ، فاستمر ينفخ فيما يشبه الرماد ، ويصيح فيما يقارب الجماد ، حتى اشتد عليه أذى المحتلين وكيد المنافقين فهاجر ناجياً بحريته وفكرته ؛ ولاذ بالأستانة يبتغى بها متنفساً لآمال مصر ، ومضطرباً لمزائم الشباب ، فكان فى هذه المدينة ذات الأستار والأسرار والحفر قبساً من الحق الساطع الصادع يبعث فى قلوب المصريين المهاجرين والطلاب الضوء والحرارة

كان يدعو شبابنا الوديع إلى الثقافة الحربية فى المعاهد العسكرية التركية استعداداً لليوم الموعود والحدث المنتظر ؛ وكانت الحرب الكبرى قد انفجرت دواهيها على العالم يومئذ ، فحاول أن يكون لمصر من أعقابها المجهولة مغنم . وكأنما دس عليه أهل الأفك ، أوعَارضت أطماعُه أطماع الترك ، فائتمروا به ليحاكموه ، ففر خفية إلى برلين ؛ وهناك أراده الألمان على أن يكون وسيلة من وسائل الحرب السرية فى الشرق ، فأبى عليه خلقه الصريح وجوهره الحر أن يكون أداة ليعيش . وتفرق عنه الرفاق إلى موارد الرزق الممكنة ، وانقطع عنه المدد من مصر ومن غير مصر ، فعمل عمل الأجير ، وعاش عيش الفقير ، يتبلغ بما يمسك الرمق ، ويكتسى بما يستر الجسم ، ويأوى إلى غرفة فى بعض السطوح يكابد فيها المرض والفقر والوحدة والغربة ، حتى أدركه الموت البائس الخامل وهو فى غيابة برلين المقهورة الباكية ، ليس فيه إلاّ فم يهتف للحرية ، وقلب يخفق لمصر !

إن فريداً كان مثال الفكرة السليمة والوطنية القويمة والرجولة الكاملة والتضحية المؤمنة . بذل فى سبيل الوطن ، مابذل عثمان فى سبيل الدين ، ثم كانت عاقبة أمره أن مات كما مات عثمان شهيداً غير مفهوم ؛ ولكن الله جازى فريداً كما جازى عثمان : جعل اسمه للخلود وروحه للخلد !

أحمد حسن الزيات

٤ ـ القلب المسكين

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

أما صاحبُ القلب المسكين فما كاد يرى الحبيبة وهى مقْبلة تَتيمَّمنا حتى بغته ذلك فساوره القلق ، واعتراه ما يعترى المحب المهجور إذا فاجأه فى الطريق هاجره . أرأيت مرة عاشقاً جفاه الحبيب وامتنع عليه دهراً لا يراه ، وصارمه مدةً لا يكلمه ؛ فنزع نومه من ليله ، وراحته من نهاره ، ودنياه من يده ؛ وبلغ به ما بلغ من السُّقم والضَّنى ؛ ثم بينا هو يمشى إذ باغتهُ ذلك الحبيب متحدراً فى الطريق

إنك لو أبصرت حينئذ قلب هذا المسكين لرأيتـه على زِلزلة من شدة الخفقان ، وكأنه فى ضرباته متلعثمٌ يكرر كلمة واحدة : هى هى هى

ولو نفذت إلى حس هذا البائس لرأيته يشعر مثـل شعور المحْتَضر أن هذه الدنيا قد نفته منها

ولو اطلعت على دمه فى عروقه لأبصرته مخذولاً يتراجع كأن الدمَ الآخر يطرده

إنها لحظة يرى فيها المهجور بعينيه أن كل شهواته فى خيبة ، فيردُّ عليـه الحبُّ مع كل شهوة نوعاً من الذل ، فيكون بإزاء الحبيب كالمهزوم مائة مرة أمام الذى هزمه مائة مرة

لحظة لا يشعر المسكين فيها من البغتة والتخاذل والاضطراب والخوف إلا أن روحه وثبتْ إلى رأسه ثم هوت فجأة إلى قدميه

* * *

غير أن صاحبنا نحن لم يكن مهجوراً من صاحبته ؛ ولـكن من عجائب الحب أنه يعمل أحياناً عملاً واحداً بالعـاطفتين المختلفتين ، إذ كان دائماً على حدود الاسراف مادام حبًّا ، فكل شىء فيه قريبٌ من ضده . والصدق فيه من ناحية مهيِّأ دائماً لأن يقابل بتهمة الكذب من الناحية الأخرى ، واليقين مُعَدٌّ له الشك بالطبيعة ، والحب نفسُه قضاء على العدل ، فانه لا يخضع لقانون من القوانين ، والحبيب — مع أنه حبيب — يخافه عاشقه من أجل أنه حبيب

وقد يصفرُّ العاشق لمباغتة اللقاء كما يصفر لمباغتـة الهجر ، وهذه كانت حال صاحبنا عند ما رآها مقبلةً عليه ؛ وكان مع ذلك يخشى إلـمامها به توَقياً على نفسه من ظنون الناس ، وأكثر ما يحسنه الناس هو أن يسيئوا الظن ؛ وهو رجل ذو شأن ضخم ومقالة السوء إلى مثله سريعة إذا رُؤى مع مثلها . وكأنها هى ألمت بكل هذا أو طالعها به وجهه المتوقِّر المتزمِّت ؛ فعدلت عن طريقها الينا ووقفت على رئيس فرقة الموسيقى وما بيننا وبينها إلا خطوات . ورأيتها قد هيأت فى عينيها نظرة عاتبتنا بهـا ثم لم تلبث أن صالحتنا بأخرى

وكأنها ألقت لرئيس الموسيقى أمراً ليتأهب لأبهته لدورها ثم همَّت أن ترجع ، ثم عادت اليه فجعلت تكلِّمه وعيناها إلينا ، فقال صاحبنا وأعجبه ذلك من فعلها : إنها نبيلة حتى فى سقوطها

ولا أدرى ماذا كانت تقول لرئيس الموسيقى ، ولـكن هذا الرجل لم يظهر لى وقتئذ إلا كأنه تليفون معلق

* * *

كانت عيناها الى صاحبها لا تنزلان عنه ولا تتحولان الى غيره ، ولا تُسارقه النظر بل تغالبه عليه مغالبة ؛ ورأيته كذلك قد ثبتت عيناه عليها فخيل الى أن هذا الوجود قد انحصر جماله بين أربعة أعين عاشقة ؛ وكانت تُطارحه ويطارحها كلاما مخبوءاً تحت هذه النظرات وقد نسيا ما حولهما وشعرا بما يشعر به كل حبيبين إذا التقيا فى بعض لحظات الروح السامية : أن هذا العالم العظيم لا يعمل إلا لاثنين فقط : هو وهى

وكان فمها الجميل لا يزال يُساقط ألفاظه لرئيس الموسيقى ، وكأنها تسرُد له حكاية مرويةً أو تعارض بحافظته كلاما تحفظه من كلام التمثيل أو الثناء ؛ فهى تتحدث وعيناها مفكرتان شاخصتان ، فلم ينكر الرجل هيئتها هـذه ؛ ولـكن كيف كانت عيناها ؟

لقد أرادت فى البدء أن تجعل قوةَ نظراتها كلاماً ، حتى لحسبت أن هذه النظرات الأولى تهتف من بعيد : أنتَ يا أنتَ

ثم بدا فى عينيها فتور الظمأ : ظمأ الحب التكبر المتمرد ، لأنه حب المرأة المعشوقة ، ولأن له لذتين : إحداهما فى أن يبقى ظمأ الى حين . . .

ثم أرسـلت الألحاظ التى تتوهج أحياناً فوق كلام المرأة

الجميلة فى بعض حالاتها النفسية ، فتُضرم فى كلامها شرارةً من الروح تظهر الكلام كأنه يُحرق ويحترق . . .

ثم توجهت النظرات لأنها تصلها بالرجل الذى لا يشبه الرجالَ فلا يستوهب خضوعها ولا يشتريه ؛ والرجل كل الرجل عند مثل هذه المرأة هو الذى لا يشبه الباقين ممن تعرفهم ، فاذا أحبها فكأنما أحبها عذراء خَفِرةً لم تُمس ، وكأنه من ذلك يصلها بماضيها وطهارتها وحيائها وما لا يمكن أن تتمثله إلا فى مثل حبه

ثم ذَبَلَتْ عيناها الجميلتان ، وما هو ذبول عينى امرأة تنظر إلى محبها ؛ إنه هو استسلام فكرها لفكره ، أو عنادُ معنى فيها لمعنى فيه ، أو توكيد خاطرة تحتاج الى التوكيد ؛ ومرةً هو كقولها : لماذا ؟ وتارة هو كقولها : أفهمت ؟ وأحيانا ، وأحيانا هو انتهاء مقاومة

* * *

وتمت الحكاية المروية التى كانت تلقيها للتليفون .. فكرَّت راجعة الى المسرح بعد أن ساحت نظراتها مرة أخرى كما بدأت : أنت يا أنت ...

فقلت لصاحبنا : ويحك يا عدو نفسه ! لو اختار الشيطان عينين ساحرتين ينظر بهما اليك نظر الفتنة لما اختار إلا عينيها فى وجهها ، فى هيئتها ، فى موقفها ؛ وأراك مع هذا كمنتظر ما لا يوجد ولا يمكن أن يوجد ؛ وأراها معك فى حبها كالحيوان الأليف إذا طمع فى المستحيل

قال : وما هو المستحيل الذى يطمع فيه الحيوان الأليف ؟

قلت : ذلك حين يطمع فى أن تكون له حقوق على صاحبه فوق الألفة والمنفعة

قال : لقد أغمضتَ فى العبارة فبينْ لى شيئاً من البيان

قلت : هب كلبةً تألف صاحبها وتحبه فهى له ذليلة مطواع ، ثم يبلغ بها الحب أن تطمع فى أن يكون لها تمام الشرف ، فلا يقول صاحبها عنها هذه كلبتى ، بل يقول هذه زوجتى ...

قال : ويْ منك ، ويْ منك[1] ! لقد ضربتَ على رأس المسمار كما يقولون . هذا هو المستحيل الذى بينى وبينها ، هذا هو المثل . يا لفظَ الحلوى ، يا لفظ الحلوى ! لو كررتك بلسانى ألف مرة ، فهل تضع فى لسانى طعمها ... ؟

(١) أى عجب يتعجب من فطنته

قلت : خفِّض عليك يا صاحب القلب المسكين فلست أكثر من عاشق

قال : بل أنا مع هذه أكثر من عاشق ، لأن فى العاشق راغباً وفىَّ أنا راهب ، وفيه الجرىء وفىَّ المكمش ، ويغترف الغُرفة من الشلاَّل المتحدِّر فيحسوها فيرتوى ، وأغترف أنا الغرفة بيدى ، وأُبقيها فى يدى ، وأطمع أن تَهْدِرَ فى يدى كالشلال . . . . أنا أكثر من عاشق ، فأنه يعشق لينتهى من ألم الجمال ، وأعشق أنا لأستمر فى هذا الألم

هذه هذه . العجيب ياصديقى أن خيال الانسان يلتقط صورا كثيرة من صور الجمال تجىء كما يتفق ، ولكنه يلتقط صورة واحدة بأتقان عجيب هى صورة الحب ؛ فهذه هذه

ألم أقل لك إن إبليس هنا فى غير حقيقته الأبليسية ولم تفهم عنى[2] ؟ فافهم الآن أننا إن كنا لا نرى الملائكة فانه ليخيل الينا أننا نراها فيمن نحبهم ؛ وما دام سر الحب يبدِّل الزمنَ والنفسَ ويأتى بأشياء من خارج الحياة ، فكل حقائق هذا الحب فى غير حقيقتها

هذه هذه . لا أطلب فى غيرها امرأةً أجلَ منها ، فهذا كالمستحيل ، ولكنى ألتمس فيها هى امرأةً أطهر منها ، وهذا كالمستحيل أيضاً . إنها أجل جسم ، ولكن واأسفاه ! إنها أجل جسم للمعانى التى يجب أن أبتعد عنها

* * *

وسكت صاحبنا إذ رفعتْ ستارة المسرح وظهرت هى مرة أخرى . ظهرت فى زينة لا غاية بعدها تمثل العروسَ ليلة جَلوتها . ألا ما أمرَّها سخرية منك أيتها المسكينة ! عروس ولكن لمن ؟

كانت تبرُق على المسرح كأنها كوكب درى نوره نورٌ وجمال وعواطف شعر

وأقبلت تتمايل بجسم رخص لين مسترسل الأعطاف يتدفق الجمالُ والشباب فيه من أعلاه إلى أسفله

وأظهر وجهها حسناً وأبدى جسمها حسناً آخر فتم الحسن بالحسن

واقفة كالنائمة ، فالجوُّ جوُّ الأحلام ، وكان الحب يحلم ، وكان السرور يحلم

(٢) مر هذا المعنى فى المقالة الثالثة

الوهم

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

أكثر ما يقعد بالانسان عن الطلب ، أو يصده عن السعي أو يصرفه عن الأقدام ، وهم لا حقيقة ؛ وقل أن يقدم الذي يطول تفكيره ومشاورته لنفسه ؛ ويندر أن يفوز بالطيبات في هذه الدنيا إلا الجسور أو « الفاتك اللهج » كما يقول بشار ، أي الذي لا يتردد ولا يضيع الوقت والفرص في الموازنات والمعادلات وحساب العواقب والمغبات

تكون مع المرأة التي تحبها ، فتحدثك نفسك أن تبثها ما تجد ، أو على الأقل أن تثني على جمالها أو ذوقها في اختيار ثيابها . فتتردد مخافة أن يسوء وقع ما تقول في نفسها وأن تعد ذلك منك تسحباً واجتراء عليها ، فتحجم ، وتمتعض هي ، لأنك بخيبت أملها فيك ورجاءها عندك . وقد لا تحب المرأة الرجل ، ولكنه لا يسوءها منه أن تعرف أنه يحبها ، ولا يثقل عليها أن يثني بما يعلم وما يتخيل أيضاً ؛ والمرأة تنتظر من الرجل أن يشعر بجمالها وأنوثتها قبل أن يشعر بعقلها أو علمها أو أدبها أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى . وكثيراً ما تقرأ لي الفتيات ما يكتبن أو ينشدنني ما ينظمن ، حتى إذا فرغن من التلاوة تعمدت أن أهمل ما سمعت منهن وذهبت أصف لهن ما وقع في نفسي من صوتهن وهيئتهن وهن يقرأن ، وكيف كان النسيم يعبث بذلاذل الثوب ويكشف عن سيقانهن البضة ، وكيف أن خصورهن كن يغرين بالتطويق ، وشفاههن وهي تتحرك وتنتق وتفترق ، وتختلج من فرط التأثر بالمعاني المصورة في الكلام ، تحمل على اشتهاء القبلات الطويلة ، ولا أراهن يغضبن لذلك أو يتجهمن ، أو حتى يتكلفن العبوس والقطوب ، بل تشرق وجوههن ويشيع فيها البشر ، وتومض عيونهن وميض الجذل والاغتباط والرضى ، وأنا أفعل ذلك لأسرهن وأشرح صدورهن ولأهرب من إبداء الرأي في كلام لا أرى له قيمة أو وزناً فننتقل بسهولة إلى حديث آخر نخوض فيه ، وتطوى الورقات وتدس في الحقائب ، ونحن نسبح بالكلام ، ثم ينصرف راضيات مسرورات شاكرات ، وأبقى أنا أو أذهب ، ولا أكون قد رددت نفسي على مكروهها

وقد جربت الناس فلم أجد ما يريح مثل الاجتراء عليهم . كنت في بعض مآربي مضطراً إلى الاتصال في عملي برجل سريع البادرة عظيم الغرور متقلب الرأي فلا راحة لانسان معه ، وآثرت الملاينة في أول الأمر وقلت : أساير خطوة أو خطوات لأجره باللباقة والكياسة إلى حيث أريد من حيث لا يشعر هو . فكان يفطن إلى حيلتي في بعض الطريق فينبو في الزمام ، فخطر لي أن المنطق والحجة لعلهما أجدى ، فصرت أجادله بالتي هي أحسن ولكن بالبرهان والبينة ، فكان يتململ ويتأفف ولا يكتم ضجره مني وكراهته للجاجتي ، فضاق صدري يوماً وخرجت معه عن طوري — على ندرة ذلك جداً — ولم أستطع أن أملك زمام نفسي ، فأسمعته من رأيي فيه ما أعتقد أنه أوجع ما سمع في حياته ، فما راعني إلا استخذاؤه والا أنه أذعن ، وراح بعد ذلك يتقي أن يثير غضبي ويخشى بادرتي أشد الخوف . فاسترحت

وقد يظن القارئ أني أشير بالتوقح على الناس وسوء الأدب معهم ، وما أريد شيئاً من هذا ، وإنما أقول إن احترامك لغيرك لا ينفي أو يمنع أن تحترم نفسك ؛ ومن احترام النفس أن تكون صريحاً وحازماً ، والصراحة والجرأة ليس معناهما قلة الأدب ، فأنك تستطيع أن تذهب في الصراحة إلى أبعد مدى وأن تتحفظ مع ذلك بالأدب . ومتى عرف الناس فيك الصراحة وألفوا منك الشجاعة ، اقتنعوا بذلك ووطنوا أنفسهم عليه وأعفوك من كثير مما تكره

وقد قص علي بعضهم حكاية شاب اتخذت منه زوجته دابة ، فهو لا يفعل إلا ما تأمر ، ولا يخرج أو يدخل أو يقوم أو يقعد أو يأكل أو يشرب إلا إذ أذنت له ، وقيل لي إنها هي التي تنتقي له ثيابه وتختار له ما يوائمها من قميص وربطة وحذاء إلى آخر ذلك . وتأمره فيصادق هذا ويخاصم أو يعادي ذاك ، ويصل فلاناً ويقاطع فلاناً ، فعجبت ! وسألت محدثي : وماذا

مهتزة كالموج في الموج . هل خلقت روح البحر في جسمها المتوجرج فشيء يعلو وشيء يهبط وشيء يثور ويضطرب ؟

ثم دقت الموسيقى بألحانها المتكلمة ، ودقت أعضاء هذا الجسم بألحانها المتحركة ، وأحسستا كأن روح الحديقة جالسة بيننا تنظر إليها وتتعجب . تتعجب من قوامها للغصن الحي ، ومن بدنها للزهر الحي ، ومن عطرها للنسيم الحي

أما صاحب القلب المسكين ؟

(يتبع)

يخيفه منها ؟ أهو يخشى أن تأكله إذا اعترض أو أبى أو تمرد على هذا السلطان ؟ فهز محدثى رأسه ولم يستطع أن يذكر لى سبباً معقولاً . وما أزال إلى هذه الساعة عاجزاً عن تصور ما تستطيع هذه المرأة أن تصنع إذا انتقض زوجها على هذا الاستعباد ؟ هى وقفة واحدة يقفها الرجل فلا يسع امرأته إلا أن تلزم حدها وتترك له حقه فى نفسه . وهذه الوقفة لا تحتاج إلى ثورة ، ولا تتطلب أن تقوم قيامة البيت ، بل لعل الهدوء أحجى وضبط الأعصاب أجدى . وما أظن امرأة تكبر رجلاً يكون عنانه فى كفها الرخص ، ولاشك أنها لاتنفك تحتال لتخضعه من حيث لا يشعر ولا يدرى ، والرجل الرشيد يدرك ذلك ولا يخفى عليه أنها تدور من ورائه لتحمله على ماتريد فيلين لها ليرضيها ويسعدها بالشعور بالنجاح ويجعلها بذلك ألين فى يده من ناحية أخرى . وحياة الرجل والمرأة مناوشات مستمرة ، ولعلها أشبه شىء بالحرب التى تشنها المصابات المتحصنة فى رؤوس الجبال على الجيوش المنظمة . وقدرة الرجل وسطوته معترف بهما ، ولكن المرأة لا تقر لها الاقرار التام ولا تزال تختبئ وتطلق قذيفتها . وخير للرجل وأجلب لراحته أن يدع لها فرصاً كافية لأصابة الهدف ، فتسكن نفسها وترضى عن حالها ، وإلا دفعها إلى التمرد الصريح . ولكنه ينبغى أن يكون له وجود وكرامة ، وإلا خسر احترامها له . واحتفاظه بكرامته واستقلاله وحريته لا يكلفه إلا أن توقن هى أنه لا خير فى محاولة إخضاعه لها .

وقد زاولت التعليم عشر سنين فما أذكر أنى احتجت يوماً أن أعاقب تلميذا ، ولو تمردوا على لما وسعنى شىء فأنى واحد وهم كثر ، ولو انتقضوا على نظام المدرسة لما استطاعت أن تكرههم عليه ، ولكن التلميذ يتوهم البأس والشوكة والسطوة والقوة ، ويرهب ما يتوهم ، ويطول عهده بذلك فيتقرر فى نفسه . وقد كنت وأنا معلم لا أحجم عن مصارحة تلاميذى بأن سلطان المدرس خيالى ولا حقيقة له ، وأنهم لو شاءوا لتناولونى وقذفوا بى من النافذة ، وقذفوا بالمدرسين جميعا وبالناظر أيضاً ورائى ، وكنت أراهم يبتسمون لما يسمعون منى ، ثم يعودون الى ما ألفت منهم من حسن الأصغاء وشدة الحرص على النظام

وكبر ابنى وصار أطول منى قامة ، وأنا الآن كهل وهو شاب ، وقد توخيت فى تربيته أن أدعه حراً ، وأن أجعله يشعر باستقلاله ، ومع ذلك لا أراه يجترىء الاجتراء الذى أتوقعه وأريده ويسرنى أن أراه منه ، لأنه يهاب ذلك السلطان الذى درج على الكبارى والاقرار له منذ الصغر . فهو لا يزال طفلاً بالقياس إلىّ فيما أرى ، وإنه لكذلك إذا اعتبرنا التجربة والعلم وما إلى هذا ولكن وهم الأبوة ، أو سلطانها ، أو لا أدرى ماذا ، يصده حتى عما لا بأس منه ولا ضير ، ولا عيب فيه ، ولا خوف من الزجر عليه . وأنا أيضاً كنت طفلاً — كما لا أحتاج أن أقول — وكان هذا شأنى ، لأن للعادة سلطانها

ولو جرب الناس الشجاعة والأقدام لأدهشهم أن ما كانوا يخافونه أو يتقونه أو يتوقعونه ، لا وجود له ، وأنه لم يكن سوى وهم ليس إلاّ . وأكرر أنى لا أحض على تجاوز الحدود ، فليس من حسن الأدب أن يكون المرء جبانا أو ذليلاً ، ولا من سوئه أن يكون عارفا بحقوقه حريصاً عليها وجريئاً فى سعيه وصريحاً فى قوله ، أى مخلصاً لنفسه

ابراهيم عبد القادر المازنى

لجنة التأليف والترجمة والنشر

ضحى الإسلام

الجزء الثالث

للأستاذ

أحمد أمين

يبحث فى عقائد الفرق الدينية فى العصر العباسى الأول من معتزلة وشيعة ومرجئة وخوارج ، كما يبحث فى التاريخ السياسى لكل فرقة وفى أدبها

يقع فى نحو ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير وثمنه عشرون قرشاً عدا أجرة البريد

ويطلب من لجنة التأليف ومن المكاتب الشهيرة

في الأدب المقارن

أثر البيئـــة
في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ فخري أبو السعود

طبائع الانسان ومواهبه متماثلة حيثما حل من بقاع الأرض ، ومجتمعاته متشابهة الظواهر أينما قامت . تتشعب بين أفراد كل مجتمع إنساني عوامل التعاون والتنافس والتحاب والتباغض والمطامع والمخاوف ، غير أن للبيئة أثرها في تشكيل المجتمع الانساني الذي تحيط به ، بما تعرض أمام أبصاره وأذهانه من مناظر ومسائل تحجب عنه غيرها ، وما تفرض عليه من أعمال يعارسها دون سـواها ، ويكون لهذا وذاك أثره البين في لغة المجتمع وأدبه ، مقرونا إلى أثر الطبائع والمواهب التي تشترك فيها الأمم جمعاء

فللبيئة في أدب كل لغة ثلاثة آثار بعيدة المدى : فهي أولاً تؤثر في مبنى اللغة وأصـواتها وألفاظها وتعابيرها وتشبيهاتها ومجازاتها وأمثالها السائرة وحكمها المتواترة ، فـكل ذلك منتزع من طبيعة الاقليم ؛ وهي ثانياً تؤثر في مهن المجتمع وعلومه وفنونه وعمرانه وينعكس كل ذلك في مرآة الأدب ؛ وهي أخيراً تعرض دائماً أبداً أمام أنظار الأدباء وحواسهم مناظر طبيعية بذاتها ، تسترعي انتباههم وتـستجيش نفوسهم وتلهمهم كل ما يجود به قرائحهم في باب عظيم الخطر من أبواب الأدب هو باب الوصف الطبيعي

وأثر البيئة في الأدبين العربي والانجليزي واضح وضوحاً شـديداً يكاد لروعته يخفي أثر الطبيعة الانسانية التي تشترك فيها الأمتان ويتفق عندها الأدبان ، فأن تباين البيئتين تبايناً شديداً أدى إلى اختلاف اللغة والمهن والعمران والمناظر في المجتمعين ، وأدى بالتالي إلى اختلاف أشكال الأدبين وصورها ومواضيعهما وأساليبهما ؛ ويمكن إيجاز التعبير عن الفرق بين الأدبين بالقول بأن أحدهما شب في بيئة صحراوية والآخر ترعرع في بيئة بحرية

نشأ العرب في البادية فجاءت لغتهم مشرقة الديباجة متينة البناء قوية التعبير غنية الاشتقاق منتظمة أوزان الشعر متعددتها وحفلت بأسماء ظواهر الطبيعة البرية وحالاتها ، وأسماء حيوان البادية وأطوار حياته ، واشتقت تشبيهاتها ومجازاتها وأمثالها من القمر والنجوم والـكثيب والقطا ، والمُنْبَتّ الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ، وورود الماء عاء أكيس ، وإلقاء الحبل على الغارب . ولعـدم ملاءمة البادية لغير الأدب من الفنون عظمت مكانته بينهم

واشـتغل العرب في البادية بالتجارة ينقلونها بين الشرق والغرب ، فامتـلأت لغتهم بمصطلحات التجارة بعضها عربي وبعضها منقول عن الأمم التي بادلوها التجارة ، وامتلأ أدبهم بالتشبيهات المنتزعة من أحوال التجارة : فالقرآن الـكريم يكرر في غير موضع تشبيه الخير والشر بالنجدين ، وذكر الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ؛ وعنترة يقول :

حصاني كان دلال المنايا فخاض غمارها وشرى وباعا

وبثت حياة البادية في العرب صفات الحمية والشجاعة والحرية والأنفة أن يدينوا الملك ، وظهر أثر كل ذلك جلياً في أدبهم ؛ وأشهر أمثلة ذلك معلقة عمرو بن كلثوم ، فهي ديوان العرب في الحماسة ؛ وأدى إباؤهم ودوام انتجاعهم الـكلأ إلى اسـتمرار المناوشات والوقائع بين قبائلهم ، وانعكس ذلك في مفاخراتهم ومنافراتهم نثراً وشعراً

وهذه الصفات الشماء التي تلزم حياة التبدي جعلت العرب ينظرون شزرا إلى الزراعة والصناعة اللتين لم يكن لهما مجال في البادية ، ويحتقرون الزراع والصناع الذين تـسترقهم الأرض وتستعبدهم المـادة ، ولا يرون الشرف والعزة إلا في رعي الأبل والتجارة والقتـال . فالأخطل يعير بني النجار بمساحيهم ، وآخر يفاخر غريمه فيقول :

لنا الله ألأمَنَا نسبا — وأجدرنا أن ينفخ الـكيرَ خاله — يصوغ الشنوف والقروط بيثربا

والحق أن الشـعر الجاهلي مهما يكن قد داخله من تزييف يمثل الجانب الاجتماعي من حياة العرب في الجاهلية تمثيلاً رائعاً ؛ ولا يمكن تصور حالة العرب في ذلك العهد إلا على

ما وصفت فى أشعار طرفة ومهلهل وأمثالها

أما مناظر البادية الطبيعية المتشابهة الشديدة الوطأة ، فيبدو أنها لم تُشرِب العرب من حبّ الطبيعة مقدار ما بثت فى نفوسهم من رهبتها والحرص على اتقائها ، ولم تلهمهم من أشعار فى وصف محاسنها قدر ما أوحت اليهم من أشعار فى التأمل فى أحوالها والاستعبار والخشوع ، فلا غرو لم تخرج الصحراء شعراء طبيعيين يصفون محاسن المناظر ، كتلك التى تحفل بها الألياذة والأوديسة ، وإنما أخرجت أنبياء وحكماء فى شتى عصورها

وتحضر الشعب الانجليزى فى جزيرة تحيط بها البحار ، وتجرى فيها الأنهار ، وتتخللها البحيرات ، وتتوالى عليها الأمطار والثلوج والسحاب والضباب ، ويتعاقب فيها الصحو والدجن ، وتنتشر فى أرجائها الغابات والآجام ، وتتتابع فيها الربى والقيعان ، فامتلأت لغتهم بأوصاف البحر والغاب ، وأسماء ما أسكنوها من جان ، واشتُقت منها تشبيهاتهم وأمثالهم ، فاستُعير الضباب لحالة الشك والابهام ، والسحاب للحزن والقلق ، وقالوا فى أمثالهم إن الوقت والمدّ لا ينتظران إنسانا ، وحلت السفينة من مخيلتهم ما كان للجمل لدى العرب من منزلة : فبينما ترى حسان يشبّه تراقص الخمر فى إنائها بتهادى الناقة المسرعة فيقول :

بزجاجة رقصت بماق قعرها رقص القلوص براكب مستعجل

يُشبّه ملتون « دليلة » وهى شاخصة فى عظم جرمها وتمام زينتها وعتادها الى « سمسون الجبار » لاختداعه عن سر قوته بالسفينة المنشورة الشراع

وامتلأت قلوب الانجليز بحب البحر ، وظهر أثر ذلك فى أدبهم فى كل العصور : فى روايات شكسبير كالعاصفة وتاجر البندقية ، وفى تواريخ أمراء البحر الانجليز ككتاب « وستورد هو ! » الذى سماه مؤلفه كنجزلى باسم البلدة التى أنجبت معظم أولئك البحازين الذين يسمون بأفذاذ ديفون ، وككتاب سوذى عن نلسون ، والروايات الخرافية عن البحارة الذين لاقوا الأهوال وطوفوا فى مسالك البحار ، أمثال روبنسون كروزو ، واسكندر سلكرك ، وجليفر ؛ وأوصاف البحر وقصصه تكون جانباً كبيراً مما يعرف بأدب الأطفال

ولم يشغف الانجليز بالبحر وحده ، بل بالماء حيث حل من البقاع ، وأيا اتخذ من الأشكال ، فهاموا حباً بالأنهار والبحيرات ، ونال اقليم البحيرات فى غرب انجلترا مكانة سامية فى قلوب شعراء الانجليزية ، واتخذه شعراء النهضة الرومانسية مستراداً ومقاماً ، وحفلت دواوينهم بأوصافه ومحاسنه ، فحل فى انجلترا محل جبال برناس التى كانت ترتادها آلهة الشعر فى بلاد اليونان

وحفل الأدب الانجليزى كذلك بذكر الغاب ووصفه فى مختلف أوقات العام ، واتخذ مسرحاً لروايتى « كما تشاء » و« حلم ليلة فى منتصف الصيف » لشكسبير ، وفى الأخيرة تمتزج الحقيقة بالخيال ، وتختلط الاناسىّ بمرائس الغاب وعفاريته ، وفى تلك المرائس المتخيلة نظمت أشعار كثيرة ، وفى تلك الغابات كان يعيش روبن هود وجماعته ذات الوقائع الممتعة ، وبالجملة بثت طبيعة بلاد الانجليز المتعددة المناظر والحالات ألفةَ الطبيعة والشغف بها فى نفوس الانجليز ، فاحتلت من أدبهم موضعاً مكيناً

ولموقع الجزيرة وإحاطة البحار بها اشتغل الانجليز بالتجارة ، ينقلونها بين العالمين القديم والجديد ، وقد مارسوها بحراً على حين مارسها العرب براً ، فدخلت تعبيراتها وأوصافها فى أدبهم ؛ واشتغلوا بالزراعة لملاءمة الاقليم وحفل جانب من أدبهم بوصف سكان القرى والبلدان الريفية ، وحياتهم ومجتمعاتهم ، وكثر ذلك خاصة فى العصور الحديثة حين تقدم فن القصص وازداد التفات الأدباء إلى الحياة اليومية والطبقات الوسطى والدنيا . ومن خير أمثلة ذلك روايات جين أوستن وتوماس هاردى ؛ واشتغل الانجليز كذلك بالصناعة الكبيرة لوفرة المعادن فى بيئتهم ، فقام نوع من الأدب يدرس مشاكل الصناعة ويصور مجتمع الصناع ، وانصرف بعض الروائيين ، كأرنولد بنيت ، إلى وصف حياة الرأسماليين ، وبعضهم ، كتشارلز دكنز ، إلى درس أحوال العمال والمناداة بتحسينها

هكذا تأثر كلا الأدبين بالبيئة التى قام فيها ، فاختلفا لذلك مناحى ومواضيع وأشكالاً ؛ بيد أن البيئة التى تقدم ذكرها إن هى إلا البيئة المحلية المحض ، وهى على عظيم تأثيرها فى المجتمع والأدب قلما تنفرد بالتأثير فيهما ، بل تشاركها فى ذلك بيئة أوسع أطرافا هى البيئة العالمية ، أى العالم كله بما فيه من ظواهر

طبيعية وما يسكنه من أقوام ، فهيهات أن يعيش مجتمع فى بيئته المحلية غير متأثر بالعالم الخارجى تأثراً قل أو كثر ، عن طريق التجارة والغارة والرحلة ، وذلك الأثر العالمى يعرض أمام أفراد المجتمع من الظواهر والمشاكل ما كانوا عنه بنجوة ، ويُدخل فى لغتهم وأدبهم ما كانوا به جاهلين

تأثر الشعبان العربى والانجليزى بأحوال العالم الخارجى ، أى بالبيئة الكبرى ، ولكنهما اختلفا فى هذه البيئة كما اختلفا فى البيئة المحلية ، إذ تأثر كل منهما بما يليه مباشرة من أجزاء تلك البيئة العالمية : وما يلى بلاد العرب هو الأمم الشرقية من فرس وهند وروم شرقيين ومصريين ، ذات الحضارة الشرقية العتيدة والملكيات القديمة ؛ وما يلى الانجليز هو الأمم الغربية الوارثة لحضارة الأغريق والرومان ذوى التاريخ الحافل بالنظم الحكومية والآراء الحرة فى السياسة والاجتماع ، وبذلك ازدادت صبغتا الأدب تبايناً

تأثر العرب بحضارة الأمم التى كانوا ينقلون متاجرها ، ولا سيما الفرس والروم ، وكانت لهم بهؤلاء علاقات سياسية ولأكابرهم إلى ملوكهم سفرات ، وإلى اشتغال قريش بتلك التجارة ومخالطتها تلك الأمم يرجع ذلك الرقى الأدبى والمادى الذى بلغته قبيل الاسلام ، وظهورها على القبائل فى الثروة والجاه والشرف واللغة ، وإنجابها عظماء الرجال الذين على أيديهم توطدت دولة الاسلام ، فكانت مكة قبيل الاسلام فى حال من التمدن وسط بين همجية البداوة ونعومة الحضارة

ولو استمر تأثر العرب بالبيئة الخارجية طبيعياً محدوداً هكذا لازدادوا رقياً وازدادت لغتهم بهاء وأدبهم ازدهاراً ؛ ولكن التوسع الخارجى الذى أعقب نجاح المسلمين الحربى المفاجئ أوقف ذلك التأثر البطىء ، وأحدث انقلاباً تاماً فى مجرى الأمور ، فلم يعُد تأثر الأدب العربى بالعالم الخارجى مقصوراً على النقل التدريجى ، بل انتقل الأدب ذاته جملة من وطنه الأصلى وهجر بيئته الأولى إلى بيئة أو بيئات جديدة فى الشام والعراق ومصر والأندلس وغيرها ، والأدب العربى فى انتقاله هذا ومهاجرته هذه من وطن إلى وطن نسيج وحده بين آداب الأمم

وجد الأدب العربى نفسه فى بيئة جديدة ، فى أراض مزروعة مثمرة ، وأمم مترفة مستقرة ، وبلدان عامرة متحضرة ، ذات علوم وصناعات ، فتأثر بهذه البيئة الجديدة فى ثلاث النواحى سالفة الذكر : فى مفردات اللغة وتعبيراتها التى ازدادت بالنقل والتعريب ، وفى المهن ومظاهر العمران ، وفى وصف مناظر الطبيعة الجديدة ، فكثر فى الأدب ذكر الرياض والأزهار

على أن تأثر الأدب فى الناحيتين الأولى والثالثة كان قليلاً نسبياً لغنى اللغة فى الاشتقاق الذى أغناها عن الامعان فى التعريب ، ومحافظة العرب التى نفَّرتهم من استعمال ألفاظ اللغات الأخرى وأخيلتها إلا ما جاء عفواً أو ضرورة ، وحرصهم على احتذاء أسلافهم حتى ظلوا يقلدونهم فى وصف البيد والخيام والنؤى والعيس ، وهم يعيشون بين الأرياف والعواصم ، فقامت هذه التقليدات للمتقدمين فى الأدب العربى كالمتحجرات فى عالم الجيولوجيا : قد فقدت كل حياة ولم تعد إلا رموزاً للماضى

ولم يشغف العرب شغفاً حاراً بمظاهر الطبيعة التى صادفوها فى بيئتهم الجديدة ، وكأنَّ نفرتهم القديمة من قسر الطبيعة لم تفارق نفوسهم ، وكأن كل ما كانوا يطمحون اليه بعد أن طووا الأميال ضرباً فى فلوات الجزيرة وهواجرها ، ظلٌّ ظليل وماء سلسبيل وهواء بليل ، تريح الجسوم وترويها وترفه عنها بعد طول الكد ، فنص أدبهم الطبيعى بذكر راحة الجسم ولذات الحواس ، دون طويل تأمل فى محاسن الطبيعة واجتلاء لأسرارها وتقصٍّ للذكريات والآمال عندها ، وأجمعُ الأمثلة لذلك قول الشاعرة الأندلسية :

وقانا لفحة الرمضاء واد ... سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا ... حنوَّ المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالاً ... ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا ... فيحجبها ، ويأذن للنسيم

إنما كان أشد تأثر الأدب العربى فى بيئته الجديدة بالناحية الثانية ، ناحية العمران ، ناحية الحياة المستقرة فى البلدان ، المعتمدة على الزراعة والصناعة ، الخاضعة للملكية ، وهى عكس حياتهم فى البادية تماماً ، فانغمر الأدباء فى جو المدن ، واعتزلوا الطبيعة وتكالبوا على بيوت الأمراء ، وتزاحموا على مجالس الطرب والشراب ، واستفرغوا جهدهم فى انتهاب فرص الحياة من جاه

ومال ورفاهية ولهو ، وتأثر الأدب بذلك : فلم يعد يتغنى بالنجدة والبأس والقناعة ، بل طاب له الاستظلال بسلطان الحاكمين ، يترنم بمدحهم بعد أن كان أمثال عمرو بن كلثوم يثورون على نيرهم ، ويتفنن في وصف مظاهر التحضر وضروب الترف واللهو في المدن

أما الأدب الانجليزي ، فتأثر بالبيئة العالمية في النواحي الثلاث — نواحي مبنى اللغة ومظاهر العمران ومناظر الطبيعة — تأثراً كبيراً : فاللغة الانجليزية تدين للغات الأجنبية ولا سيما اللاتينية بأكثر مفرداتها وطرق اشتقاقها وكثير من تعابيرها ومجازاتها ؛ والمجتمع الانجليزي تأثر بالمجتمع الايطالي في عصر الأحياء ، وبالمجتمع الفرنسي في عصر لويس الرابع عشر ؛ ولم يخلُ في عصر من التأثر بحالة العمران في أوربا ، إذ كانت الحضارة الأوربية الحديثة مشتركة بين شتى الأمم ؛ وباطلاع الانجليز على أوصاف الطبيعة في الآداب الكلاسيكية ازدادوا شغفاً بمفاتن بلادهم ، وزادوا فوصفوا محاسن الطبيعة في إيطاليا وبلاد اليونان وغيرها

تأثر الأدب الانجليزي بالبيئة العالمية في شتى النواحي ، ولكنه لاستقراره في وطنه الأول وبيئته المحلية جاء تأثره بالأولى بطيئاً محدوداً لم يطغ على خواصه المحلية ، بل ظلت للبيئة المحلية المكانة الأولى والآثار الواضحة في الأدب ، ولم يزد الأثر الخارجي على أن أضاف إلى العناصر المحلية ما يناسبها ويخصبها من العناصر الأجنبية ، وكلما احتجن الأدب جانباً من تلك العناصر مثّلها ومزجها بنفسه وصبغها بصبغته الخاصة

فالأدبان العربي والانجليزي قد نشآ في بيئتين طبيعيتين مختلفتين وترعرعا في مجتمعين متباينين ، وتأثرا بعوامل عالمية مختلفة ، وهاجر أحدهما من بيئته الأولى إلى بيئة جديدة بينما ظل الآخر في وطنه الأول ، فلا غرو أن يختلف الأدبان في الصبغة والمناحي والأوضاع والأغراض والأخيلة ، اختلافاً يروع الناظر فيهما فيخيل إليه أن ليس هناك تشابه بينهما قط ، ولا وجه للموازنة والمقابلة ، ويكاد يخفى ما فيهما من تعبير مشترك عن شتى النوازع النفسية والظواهر الاجتماعية ، التي تتفق فيها الطباع الانسانية ، في شتى المجتمعات ، ومختلف البيئات

فهمي أبو السعود

خطر الفاشستية
على سلام العالم
ومشكلة البحر الأبيض المتوسط
بقلم باحث دبلوماسي كبير

لم يبد خطر الفاشستية على سلام أوربا وسلام العالم كما يبدو اليوم ؛ ولقد كان رأينا دائماً أن الفاشستية وما تقوم عليه من مبادىء العنف ، وما يحدوها من الأطماع المضطرمة ، وما تؤكده بأعمالها وتصريحاتها من احتقار لمبادىء الحق والعدالة الدولية ، إنما هي مصدر دائم للشر والخطر على السلام ، وبخاصة على الأمم الضعيفة التي تدين بوجودها واستقلالها لمبدأ الحق الطبيعي لا للقوة الغاشمة ؛ بيد أن الفاشستية لم تبد من قبل بمثل هذه الجرأة المكشوفة ، وهذا التحدي الواضح ، وهذا التوثب لارتكاب العدوان والشر ، وهذا الاستخفاف بحقوق الشعوب ومصايرها كما تبدو اليوم

منذ أكثر من عام نظمت إيطاليا اعتداءها المثير على الحبشة ، واستطاعت لا بحرب شريفة مشروعة ، ولكن بوسائل همجية ممقوتة أن تقهر هذه الأمة المنكودة وأن تضمها لأملاكها ، وأن تقيم على أنقاض الحريات المتصوبة إمبراطورية استعمارية تصول بها اليوم ؛ وفي الصيف الماضي استطاعت الفاشستية الايطالية وحليفتها النازية الألمانية أن تضرما في أسبانيا نار ثورة مضطرمة ، وما زالتا إلى اليوم تمدان العسكرية الثائرة بالسلاح وكل صنوف المعاونة ، وما زالت أسبانيا تتلظى في جحيم الحرب الأهلية ، لأن الفاشستية والنازية تود كل منهما أن تحقق لنفسها ظفراً معنوياً يكون مظهره قيام حكومة طغيان فاشستية في اسبانيا على أنقاض الجمهورية ، وظفراً مادياً يقوم بتحقيق بعض المصالح السياسية والعسكرية التي تطمح كل منهما إلى تحقيقها

وكما أن مسألة البحر الأبيض المتوسط كانت أثناء الاعتداء الايطالي على الحبشة مثار الخطر والاحتكاك المستمر بين إيطاليا وبريطانيا العظمى ، فكذلك تثير الحرب الأهلية الاسبانية

مسألة البحر الأبيض المتوسط مرة أخرى، وتثيرها بصورة أدق وأوسع نطاقاً وأشد خطراً؛ وقد كانت الأزمة التي أثارتها الحرب الحبشية في هذا البحر محلية في نوع ما لأنها كانت تتعلق بشرقية فقط، وتتعلق بالنزاع بين إيطاليا وبريطانيا على السيادة في هذه المياه، ولكن الأزمة التي تثيرها اسبانيا اليوم أزمة عامة شاملة، تتعلق بالتوازن في البحر الأبيض المتوسط كله، وتدخل فيها فضلاً عن إيطاليا وبريطانيا العظمى، فرنسا وألمانيا

وقد خطب السنيور موسوليني في ميلان أخيراً في سياسة إيطاليا العامة نحو المشاكل الأوربية المختلفة وكرر دعاوى إيطاليا القديمة على البحر الأبيض المتوسط، ووصفه بأنه بحيرة رومانية، وأنه يجب أن يكون في الواقع كذلك لولا أن بريطانيا تدعي فيه سيادة لا يحق أن تكون لها، ووجه الدعوة في خطابه إلى بريطانيا أن تتفاهم مع إيطاليا على قاعدة المساواة في الحقوق والمصالح؛ لأن كون بريطانيا تتخذ من هذا البحر طريقاً لأملاكها فيما وراء البحار، لا يجيز لها أن تدعي السيادة فيه والسيطرة على مياهه؛ وقرن السنيور موسوليني خطابه السياسي كالعادة ببعض التلميحات والتهديدات السرحية، فأشار إلى عصبة الأمم بأنها حلم سخيف، وسخر من مشروع نزع السلاح ونظرية السلامة الاجماعية، وما إليها من مثل لتأييد السلام؛ ولكن الحكومة البريطانية لم تلبث أن أجابت «الدوتشي» على مزاعمه ودعاويه؛ فذكرت أولاً في خطاب العرش الذي افتتح به البرلمان البريطاني، أن سياستها الدولية تقوم على تأييد عصبة الأمم وتدعيمها وإصلاحها لتتمكن من تأدية مهمتها، وأنها ما زالت تؤمن بالسلامة الاجماعية كوسيلة لتأييد السلام والتفاهم بين الأمم؛ وأما فيما يتعلق بالبحر الأبيض المتوسط، فقد ذكرت الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها المستر ايدن في مجلس العموم، أن بريطانيا العظمى تعتبر هذا البحر شرياناً من شرايين الامبراطورية، وطريقاً حيوياً لتجارتها تدافع عنه بكل ما وسعت

* * *

ألقى السنيور موسوليني خطابه الرنان غداة الاتفاق الذي عقد أخيراً بين إيطاليا وألمانيا، وكان من أهم نتائجه اعتراف ألمانيا بالامبراطورية الايطالية وسيادة ايطاليا على الحبشة، واتفاق الدولتين على اتخاذ خطة سياسية مشتركة في أواسط أوربا وشرقيها، وتحالفهما على مقاومة الخطر البلشفي الذي يزعج ألمانيا المتلرية في كل لحظة؛ واتفاقهما على احترام استقلال النمسا إلى حين؛ ولم يكن هذا الاتفاق بين الدولتين الفاشستيتين مفاجأة في السياسة الدولية؛ فمن المعروف أن إيطاليا وألمانيا تجمع بينهما روابط خاصة أهمها اتفاق الوسائل والخطط، والاتحاد في كثير من المطامع والغايات، ولا سيما المطامع الاستعمارية؛ وقد كانت ألمانيا أول الدول المؤيدة لايطاليا يوم اعتدائها على الحبشة، لأنها تجيش بمثل الأماني الامبراطورية التي تجيش بها إيطاليا؛ هذا فضلاً عن اتحاد الدولتين في مناوأة عصبة الأمم، وسياسة نزع السلاح، وفي النزعة العسكرية، والخطط السياسية العنيفة

والواقع أن المسألة الاستعمارية تلعب دوراً كبيراً في الأزمة الدولية الحاضرة، وفي أزمة البحر الأبيض بنوع خاص؛ فقد رأينا كيف بدأت هذه الأزمة وتفاقمت من جراء اعتداء إيطاليا على الحبشة ووقوف انكلترا في وجه السياسة الايطالية، وحشدها الدول بواسطة عصبة الأمم لتوقيع العقوبات الاقتصادية ضد إيطاليا؛ والآن وقد كلل اعتداء إيطاليا بالنجاح وفازت بامتلاك الحبشة، فانها تتطلع إلى تحطيم المركز الممتاز الذي تستأثر به انكلترا في البحر الأبيض المتوسط لكي تأمن على مواصلاتها مع امبراطوريتها الافريقية؛ ومن المحقق أن معاونة إيطاليا للجنرال فرانكو زعيم الثورة الأسبانية لها صلة كبيرة بهذا المشروع الذي تحلم به إيطاليا؛ ذلك لأن قيام حكومة عسكرية فاشستية في أسبانيا موالية للسياسة الايطالية، يهدد مركز انكلترا في جبل طارق وفي غرب البحر الأبيض المتوسط، كما أنه يعزز مركز إيطاليا ونفوذها في هذه المياه خصوصا إذا ثبتت الأنباء القائلة بأن القوات الايطالية تحتل الآن جزيرة ميورقة كبرى جزر البليار. وألمانيا تؤيد إيطاليا في هذا الموقف، وتعاون ثوار أسبانيا أيضاً، لأنها ترى في قيام الفاشستية في أسبانيا تقوية للجبهة الفاشستية التي تمثلها مع إيطاليا وإضعافا لموقف الدول الديموقراطية: أعني فرنسا وانكلترا في أوربا، كما أنها ترى في ظفر الفاشستية هزيمة

لعدوتها روسيا السوفيتية التي تعاون الجبهة الجمهورية في أسبانيا وربما كانت ألمانيا إلى جانب ذلك ترى في التدخل في شؤون أسبانيا وغرب البحر الأبيض وسيلة لاثارة المسألة الاستعمارية التي تعلق عليها أهمية كبيرة

وقد امتازت خطط الدولتين الفاشستيتين في العام المنصرم بالاندفاع والتحدي ؛ وما زال السنيور موسوليني بالأخص يبرق ويتوعد في كل خطبه وتصريحاته ، وينوه بقوة جيوشه واستعداداته وينذر أوروبا بالويل إذا لم تنزل عند أطماعه ومطالبه ؛ وما زالت انكلترا وهي التي يخصها « الدوتشي » بأكبر قسط من الوعيد والتحدي تقابل الموقف بالرزانة والاغضاء ، ماضية في تقوية تسليحاتها في نفس الوقت بكل ما وسعت ؛ كذلك ترى ألمانيا الهتلرية تنحو في خططها السياسية هذا النحو فتنقض المواثيق والعهود متى شاءت ، وتلوح في كل فرصة باستعداداتها العسكرية ؛ وفرنسا التي هي محور هذه الضربات تتلقاها في هدوء وتحاول مع حليفتها القديمة انكلترا أن تذلل الصعاب والأزمات بالأساليب السياسية ، وهي ماضية أيضاً في مضاعفة استعداداتها العسكرية العظيمة

ومن المحقق أن الدول الغربية وعلى رأسها فرنسا وانكلترا ترغب في السلام كل الرغبة ، وتعمل على اتقاء خطر الحرب بكل ما وسعت ؛ كذلك لا ريب في أن الفاشستية لا تبدي مثل هذا الحرص في المحافظة على السلام واجتناب أخطار الحرب ؛ ولقد اندفعت إيطاليا والمانيا خلال هذا العام إلى إثارة عدة أزمات دولية كانت كل منها تكفي لاضرام نار الحرب ، فنقض المانيا لميثاق لوكارنو ومعاهدة الصلح ، وغزو إيطاليا للحبشة وحملاتها العنيفة على انكلترا ، وعلى عصبة الأمم ، وعملهما معاً على إضرام نار الحرب الأهلية في أسبانيا ، كل هذه كانت وما تزال تثير كدراً في أفق السلام ، وقد كادت في أكثر من فرصة أن تغدو خطراً حقيقياً على السلام

وهذه النزعة الخطرة التي تندفع الفاشستية فيها دون تدبر للعواقب ترجع الى حالة نفسية تستتبعها الفاشستية ؛ فالدول الغربية التي خرجت من الحرب بأكبر قسط من الغنيمة ، والتي تبسط سلطانها على امبراطوريات استعمارية شاسعة ، وتستأثر بوفرة هائلة في المواد الأولية ، تتمتع بمستوى مرتفع من الرخاء الاقتصادي ، ولها صناعات مزدهرة ، وتجارة خارجية عظيمة ، وهي تحرص على ذلك كله ، وتجانب الحرب ما استطاعت ، لأن الحرب تذير الخراب والبؤس الاقتصادي ؛ وهذا مثل انكلترا وفرنسا وبلجيكا ؛ فهي دول « راضية » لا تود بحالتها بديلا ، أما الدول الفاشستية ، أو بعبارة أخرى ايطاليا والمانيا ، فهما من الدول «غير الراضية» لأنهما تعانيان حالة من البؤس الاقتصادي ولا تحتكمان على مقادير كافية من المواد الأولية ، ولا تتمتعان بمقدار مرض من الرخاء ، فهما لذلك ساخطتان ، تحقدان على الدول «الراضية» ، وتودان تغيير هذه الحال والاستيلاء على بعض المستعمرات الغنية التي تكفل لها الحصول على المواد الأولية ؛ وإذا كانت الفاشستية تقوم في الداخل على العنف ، فهي لا ترى أيضاً سوى العنف وسيلة لسياستها الخارجية ، وهي تندفع بلا تدبر للعواقب ، لأنها تعرف جيداً أن الدول « الراضية » أشد ما يكون زهداً في مقابلة العنف بالعنف ، وأنها تعمل جهدها لاتقاء خطر الحرب ؛ وقد نجحت الفاشستية في استغلال هذه الحالة ، وحققت لنفسها بالعنف ألواناً من الظفر ، في ميدان السياسة والحرب ، كغزو الحبشة ؛ ولا تزال تسرف في الوعيد كلما لاح لها أمل في التهويل والاستغلال

على أن الذي لا ريب فيه هو أن ألمانيا وإيطاليا مهما بلغتا اليوم من القوة لا تستطيعان الاضطلاع بحرب أوربية كبيرة ، فكلتاهما تفتقر الى المال والمواد الأولية ، وإن كانت غنية بالرجال والأساليب الفنية ؛ والحرب المعاصرة تقوم على المال والمادة كما تقوم على الفن والسواعد ؛ ومن ثم كان تلهف المانيا على استرداد مستعمراتها وهي أمنية تبدو مستحيلة التحقيق على الأقل في الوقت الحاضر ؛ ثم إن تيار الحوادث لا يستقر على حال ، فما هي ذي الحرب الاسبانية تتطور في مصلحة الجمهوريين ، والثورة تدنو إلى الفشل ؛ وسيكون فشل الثورة الاسبانية ضربة أليمة ولكن عادلة للفاشستية التي أثارتها ؛ والأحوال السياسية تتطور في أوربا الوسطى تطوراً سريعاً ، ودول الانتفاق الصغير تنظر بعد خطبة الدوتشي في ميلان وما ورد فيها من إشارة إلى تعديل المعاهدات ، إلى السياسة الايطالية وغاياتها بمنتهى الريب ، بل إن الانتفاق الذي عقد أخيراً

نظرية النبوة عند الفارابى

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

— ٥ —

اعتنق الفارابى ، بعد الكندى ، نظرية أرسطو فى الأحلام وقال معه إنها أثر من آثار المخيلة ونتيجة من نتائجها . ولا بد أن يكون القارىء قد لاحظ فى التفاصيل والجزئيات تشابها واتصالاً أكثر من هذا بين رأى الفيلسوف العربى والفيلسوف اليونانى ؛ فأن الفارابى يعتد بالميول والعواطف ويثبت مالها من أثر فى تكوين الأحلام وتشكيلها . ويرى كذلك أن للطبائع والأمزجة دخلاً كبيراً فيها . وكل تلك أفكار رددها أرسطو من قبل

بيد أن مؤسس الليسيه يجهد نفسه دائماً فى أن يبعد عن مذهبه التفسيرات الدينية والتعليلات القائمة على قوى خفية وأسرار غامضة . ونزعته الواقعية تغلب عليه فى دراساته النفسية كما استولت عليه فى أبحاثه الطبيعية والاخلاقية . لهذا تراه يرفض أن تكون الرؤى وحياً من عند الله ، ولا يقبل مطلقاً التنبؤ بواسطة النوم . لأن الأحلام ليست مقصورة على طائفة دون أخرى ،

بين ألمانيا وإيطاليا يبدو ضئيلاً مزعزع الأسس أمام التطورات الأخيرة فى أوربا الوسطى ؛ وهاهى ذى إيطاليا رغم صياحها ووعيدها تؤثر أن تمد يدها إلى إنكلترا التى تمضى فى تسليحاتها البحرية والجوية بخطى الجبابرة

والخلاصة أن الفاشستية هى منبع الخطر على سلام أوربا ، ففى إيطاليا وألمانيا تضطرم النار الخفية التى قد تثير ضرام الحرب فى أية أزمة من الأزمات التى ما زالت الفاشستية تعمل على إثارتها بلا تدبر للعواقب ؛ فاذا لم تنجح أوربا فى كبح هذه النزعة الخطرة ، فالويل للسلام الأوربى والحضارة الأوربية ؛ بيد أن كل ما هنالك يدل على أن أوربا حريصة على سلامها وتراثها ، وأنها لن تنحنى أمام وعيد هتلر وموسوليني

(***)

وفى مقدور العامة والدهماء أن يدعوا التنبؤ بالغيب عن هذا الطريق ، وهذا ما لا يسلم به أحد . وهنا يفارق الفارابى أستاذه ويقرر أن الانسان يستطيع بواسطة مخيلته الاتصال بالعالم العلوى واختراق حجب الغيب والوقوف على المكنون والخفى . ولكن يجدر بنا أن نعقب على هذا مسرعين بأن الفارابى وإن خالف أرسطو فأنما يخالفه فى نقطة محددة ؛ ذلك لأن الاتصال بالعقل الفعال عن طريق المخيلة لا يتم فى رأيه إلا لطائفة ممتازة وجمع مختار ، وإذا كان الفارابى قد وفق لحل موضوع المقامات والرؤى فلم يبق أمامه إلا خطوة واحدة لحل مشكلة النبوة . فان المخيلة متى تحررت من أعمال اليقظة المختلفة استطاعت أثناء النوم أن تصعد إلى سماء النور والمعرفة . وإذن متى توفر لدى شخص مخيلة ممتازة تمت له نبوءات فى النهار مثل نبوءات الليل ، وأمكنه فى حال اليقظة أن يتصل بالعقل الفعال مثل اتصاله به أثناء النوم ، بل ربما كان ذلك على شكل أوضح وصورة أكمل . فالنبى فى رأى الفارابى بشر منح مخيلة عظيمة تمكنه من الوقوف على الالهامات السماوية فى مختلف الظروف والأوقات

هذه هى نظرية النبوة فى حقيقتها العلمية والفلسفية ، وظروفها وأسبابها الاجتماعية ، ومصادرها وأصولها التاريخية ، ونعتقد أنها الجزء الطريف والمبتكر فى فلسفة الفارابى . حقاً إنها تعتمد على أساس من علم النفس الأرسطى ، إلا أنها فى مظهرها الكامل أثر من آثار تصوف الفارابى ومعتقداته الدينية . فأن الاتصال بالعقل الفعال سواء أكان بواسطة التأمل والنظر أم بواسطة التمثيل هو قمة الصوفية الفارابية . ومن جهة أخرى يجب أن نلاحظ أن الفارابى متمش هنا مع مبدئه فى التوفيق بين الفلسفة والدين ومتأثر بتعاليم الاسلام تأثره بأفكار أرسطو . فان العقل الفعال الذى هو مصدر الشرائع والالهامات السماوية فى رأيه أشبه ما يكون بالملك الموكل بالوحى الذى جاءت به نظرية الأسلام : كل منهما واسطة بين العبد وربه وصلة بين الله ونبيه ، والمشرع الأول والملهم والموحى الحقيق هو الله وحده . وبهذا استطاع الفارابى أن يمنح الوحى والالهام دعامة فلسفية ، ويثبت لمنكريهما أنهما يتفقان مع مبادىء العقل ويكونان شعبة من شعب علم النفس

غير أنه قد يعترض عليه بأنه يضع النبي فى منزلة دون منزلة الفيلسوف . فأن وصـول الأول عن طريق المخيلة فى حين أن الثانى يدرك الحقائق الثابتة بواسطة العقل والتأمل ، وليس هناك شك فى أن المعرفة العقلية أفضل وأسمى من المعلومات المتخيلة ؛ ولـكن الفارابى فيما يظهر لا يأبه بهذه التفرقة ولا يعيرها أية أهمية ؛ وسواء لديه أن تكون المعلومات مكتسبة بواسطة الفكر أم بواسطة الخيالة ، ما دام العقل الفعال مصدرها جميعاً ، فقيمة الحقيقة لا ترتبط بالطريق الذى وصلت إلينا منه ، بل بالأصـل الذى أخذت عنه ؛ والنبي والفيلسوف يرتشفان من معين واحد ويستمدان علمهما من مصـدر رفيع ؛ والحقيقة النبوية والحقيقة الفلسـفية هما على السواء نتيجة من نتائج الوحى وأثر من آثار الفيض الالهى على الانسان عن طريق التمثيل أو التأمل .

على أن الفارابى بعد أن فرق فى كتابه : آراء أهل المدينة الفاضلة بين النبي والفيلسوف من ناحية الوسائل التى يصلان بها إلى المعرفة عاد فقرر فى مكان آخر أن الأول ، مثل الثانى ، يمكنه أن يعرج إلى مستوى الـكائنات العلوية بواسطة العقل . فان فيه قوة فكرية مقدسة تمكّنه من الصـعود إلى عالم النور حيث يتقبل الأوامر الألهية فلا يصـل النبي إلى الوحى عن طريق المخيلة فحسب ، بل بما فيه من قوى عقلية عظيمة . يقول الفارابى : « النبوة مختصة فى روحها بقوة قدسية تذعن لها غريزة عالم الخلق الأكبر كما تذعن لروحك غريزة عالم الخلق الأصـغر فتأتى بمعجزات خارجة عن الجبلة والعادات ؛ ولا تصدأ مرآتها ولا يمنعها شىء عن انتقاش ما فى اللوح المحفوظ من الـكتاب الذى لا يبطل ، وذوات الملائـكة التى هي الرسل ، فستبلغ مما عند الله إلى عامة الخلق » [1] .

وإذا كان فى مقدور النبي أن يتصل بالعقل الفعال بواسطة التظر والتأمل فأن النبوة تصبح ضربا من المعرفة يستطيع الناس على السواء الوصول اليه . فبتأثير العقل الفعال نبحث ونفكر وندرك الحقائق العـامة ، وبتفاوت أثره فينا تختلف درجاتنا ويفضل بعضنا بعضا ، وإذا ما عظم اشراقه على واحد منا سما بنا الى مرتبة الالهام والنبوة . وعل هذا هو الذى دفع علماء الـكلام الى أن يأخذوا على الفارابى ومن جاء بعده من فلاسفة الاسلام ميلهم الى عد النبوة أمرا مكتسبا . مع أن أهل الحق ، فيما يصرح الشهرستانى ، يقولون « إن النبوة ليست صفة راجعة الى النبي ، ولا درجة يبلغ اليها أحـد بعلمه وكسبه ، ولا استعداد نفسه ، يستحق به اتصالا بالروحانيات ، بل رحمة يمن الله بها على من يشاء من عباده » [2] . ونحن لا ننكر أن موازنة الفارابى بين النبي والفيلسوف تدع باب النبوة مفتوحاً للجميع ، كما أن الفلسـفة ليست مقصورة على طائفـة دون أخرى . إلا أنه يخيل الينا أن الفلسفة فى رأى الفارابى ليست سهلة المنـال بالدرجة التى تبدو لأول وهلة ، فلـكل أن يتفلسف ، ولن يحظى بالفلسفة الحق إلا أفراد قليلون ؛ وفوق هذا فالفارابى يقرر أن النبي ينعم بمخيلة ممتازة أو قوى قدسية خاصة ، ويغلب على ظننا أن هـذه القوة القدسـية وتلك المخيلة فطريتان فى رأيه لا مكتسبتان وإن كان هو نفسه لم يصرح بذلك . ونحن نسلم جميعاً بأن فى نفس النبي ومزاجه كمالاً فطرياً استحق به النبوة ، وسما بسببه الى الاتصال بالملائكة وقبول الوحى . والأنبياء هم صفوة الناس وخيرة الله فى خلقه : « الله يصـطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس » يقول الشهرستانى : « فكما يصطفيهم من الخلق قولاً بالرسالة والنبوة يصطفيهم من الخلق فعلاً بكمال الفطرة ونقاء الجوهر ، وصفاء العنصر ، وطيب الأخلاق وكرم الأعراق . فيرقيهم مرتبة مرتبة ، حتى اذا بلغ أشـده ، وبلغ أربعين سنة وكملت قوته النفسانيـة وتهيأت لقبول الأسرار الآلهية بعث اليهم ملـكاً وأنزل عليهم كتاباً » [3]

وأخيراً اذا كان الفارابى قد استطاع التخلص من الاعتراضين السابقين فهناك اعتراض ثالث تعز الاجابة عليـه ، وهو أن تفسير الوحى والالهام على النحو السيكلوجى السابق يتعارض مع كثير من النصوص الثابتة . فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم فى صورة بعض الأعراب أو أنه كانت تسمع له صلصلة كصلصلة الجرس ، إلى غير ذلك من

(١) الفارابى ، الثمرة المرضية ، ص ٧٢

(١) الشهرستانى ، نهاية الأقدام ، ص ٤٦٣

(٢) المصدر نفسه ؛ ص ٤٦٣

آثار متصلة بالوحى وطرائقه . ولا نظن أن هذه الآثار غابت عن الفارابى ، إلا أنه ، فيما نعتقد ، شغل بمسألة أخرى ، وعنى بأن يثبت أولاً وبالذات أن الوحى أمر ممكن ولا يخرج على المبادىء العلمية المقررة ، وبذا أصبح اتصال الروحانى بالجسمانى الذى كان يستبعده الصابئة وغيرهم مقبولاً ، وينبغى أن نلاحظ أن جل جهد الفارابى فى نظرية النبوة لم يكن موجهاً نحو أهل السنة الذين يؤمنون بكل ماجاء فى القرآن والحديث متصلاً بالوحى وكيفياته ، وإنما كان مصوباً الى تلك الطائفة التى أنكرت النبوة من أساسها ، وهذه الطائفة لم تحارب الاسلام فحسب ، بل حاربت الأديان على اختلافها . فلم ير الفارابى بداً من أن ينتصر لمبدأ النبوة من حيث هو وأن يوضحه بمعزل عن أية بيئة أو وسط خاص ، وليس بعزيز عليه بعد هذا أن يتأول ماورد من نصوص دينية تخالف آراءه أو تبعد عنها ، وقد سلك سبيل التأويل غير مرة ، فسلم بوجود اللوح والقلم مثلاً ، ولكنه فسرها تفسيراً يتفق مع نظرياته الفلكية والميتافيزيقية [1] ، ونحن لا ننكر أن الاسترسال فى التأويل قد يغير كثيراً من معالم الدين ، إلا أنه وسيلة لازمة لمن يحاولون التوفيق بين العقل والنقل . والحقيقة أن الفارابى وقف هنا ، شأنه فى نظرياته الأخرى ، موقفاً وسطاً ، فأثبت النبوة اثباتاً عقلياً علمياً غاضاً الطرف عن بعض النصوص والآثار المتصلة بها . وكأنه فى الوقت الذى منحها فيه أسلحة جديدة جردها من بعض ماكانت تعتمد عليه من أحاديث وأسانيد . والموفق مضطر دائماً لأن يستخلص من الرأيين المتقابلين مذهباً جديداً يمت إلى كل واحد منهما بصلة

ومهما يكن من شىء فلو لم يصنع الفارابى إلا أنه أظهر فى جلاء منزلة النبى السياسية والاجتماعية لكفى . وقد استطاع بهذا أن يرد على أباطيل ابن الراوندى واعتراضات الرازى . وعلى منواله سار فلاسفة الاسلام الآخرون وفسروا كثيراً من التعاليم الدينية بهذه الروح وتلك النزعة . وبوضع النبوة هذا الموضع الانسانى الاجتماعى يمكن أن تحل مشكلة الرياسة الدينية والسياسية التى شغلت المسلمين منذ القرن الأول للهجرة . وفى رأى الفارابى أن النبى والامام والملك والحاكم والفيلسوف الذى نادى به أفلاطون لجمهوريته يجب أن يقوموا بمهمة سياسية واحدة [2] . فهم واضعو النواميس والمشرفون على النظم الاجتماعية مسترشدين فى كل هذا بالأوامر الالهية . وميزتهم المشتركة أنهم يستطيعون الاتصال بالعالم الروحانى فى حال اليقظة وأثناء النوم بواسطة المخيلة أو الفكرة [3] . وفى هذا التفسير ما فيه من انتصار للاسماعيلية والشيعة بوجه عام سنرى أثره فيما بعد

(يتبع) ابراهيم مدكور

(١) الفارابى : الثمرة المرضية ؛ ص ٧٧

(١) الفارابى : تحصيل السعادة ؛ ص ٤١ — ٤٤

(٢) الفارابى : السياسات المدنية ؛ ص ٤٤ — ٥٠

انتظروا فى أول يناير :

الـــرواية

وهى مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدرها ادارة (الرسالة)

وستعتمد فى الغالب على نقل ما راع وخلد من بدائع الأدب الغربى فى القصص على أوسع معانيه من الأقاصيص والروايات والرحلات والمذكرات والاعترافات والنوادر . وسيكون دستورها : الجمال فى الأسلوب ، والحسن فى الاختيار ، والنبل فى الغرض ؛ فترضى الذوق كما ترضى (الرسالة) العقل ، وترفع القصة كما ترفع (الرسالة) المقالة ، وتسجل أدب الغرب كما تسجل (الرسالة) أدب العرب

بدل اشتراكها فى السنة مؤقتاً ثلاثون قرشاً فى الداخل ، وخمسون قرشاً فى الخارج . وكل من يسدد اشتراك (الرسالة) كاملا قبل انتهاء شهر يناير ترسل إليه (الرواية) مجاناً

شخصية نادرة يهملها النقد العربي

نقد ابن أبي عتيق

للأستاذ خليل هنداوي

ما زدت خوضاً فى آثار الأقدمين إلا زدت إعجاباً بها وبهذا الجد الذى ولدها ؛ وإنك لتقلب فى كتبهم فيبهرك هذا التلون فى المادة وهذا التفنن ، وهب أنك خرجت منزعجاً لاضطراب فى الاتساق واختلاف فى الاتفاق ، فان هذا لم يكن ليذهب ببعض عجبك من هذا الجد وهذا الدأب اللذين يدلانك على عقلية حاولت أن تتأمل وتعلل !

فى كتب الأقدمين ذلك الاضطراب الذى كان لا يحسه أصحابه . لأنهم لم يعملوا أعمالهم على حساب الأجيال الآتية ، ولو فعلوا لهوّنوا على مؤرخينا كثيراً من عناء الافتراض وقياس ما لا يقاس ، ولكن أصحابنا — عفا الله عنهم — لم يريدوا أن يعطونا الثمرة ناضجة بل أرادوا أن نعمل على انضاجها وصونها . وفى كتبهم ثمرات كثيرة تنادى الأيدى وهى دانية القطوف ؛ وأذكر أنى ما جلست يوماً إلى كتاب من هذه الكتب إلا خرجت بحديث ممتع أو فائدة جميلة تدفعنى نفسى إلى التقاطها وأنى لى أن أقسم أعضاء جسدى أقلاماً تسطر !

جلست فى هذا الصيف إلى أغانى أبى الفرج التى كلما ضربها الأدباء تفجرت منها عيون جديدة . ووقفت على اسم « ابن أبى عتيق » الذى عاش فى الحجاز فى العصر الأموى ورافق تطور المدرسة الغزلية أتأمل تكرر اسمه فى كثير من المواقف مع كثير من الشعراء ، طوراً يبدو لى كناقد وطوراً كسامر ، فحصرت مواقفه فى هذه المواضع على التقريب ، فاذا بى أرانى أمام شخصية عنيدة فى النقد هى — إذا صح ظنى — أول شخصية فى الأدب العربى « اليقينى » عالجت الأدب وعملت على نقده غير مستلهمة إلا ذوقها ... ولكن أبا الفرج عفا الله عنه ترك هذه الشخصية مجهولة لأنها — فى زعمه — لم تبتكر ولم تنتج شعراً ولا لحناً ، ولكن هذه الشخصية تتردد كثيراً على الأفواه . وتغشى كثيراً مجامع اللهو والأدب ، وتصبغ كثيراً هذه المجامع بألوانها الخاصة . ومما يجعل هذه الشخصية بارزة ترددها الكثير إلى هذه المجامع المختلفة ، وتردد أصحابها اليها معتبرين رأيها فى النقد والأدب . ولا أعلم — بحسب روايات الأغانى — نقداً تحليلياً عميقاً كهذا النقد . ولقد أردت أن أوضح هذه الشخصية وأستوضح عنها فى بطون الكتب والأخبار ، وليس عندى ما يسعفنى على ذلك ؛ ولو كان ذلك سهلاً لما سهل على عقلى الذى لم أتعود إرغامه على الدخول فى هذه التمرجات الطويلة التى تحتاج إلى تأمل طويل وأناة فى الامعان . ولكن ذلك غير مانعى من أن أغامر فى رسم ناحية من نواحى شخصية هذا الرجل العجيب المنتج فى النقد ، وأظنها الناحية الأكثر بروزاً فى الرجل

والآن من هو ابن عتيق ؟

يبدو لنا ابن أبى عتيق رجلاً يخالط المغنين والشعراء ولابد أنه كان يتذوقهم ، وأنه كان صاحب ثقافة واسعة فى الشعر والغناء تخول له الحكم فيهما ، وإن كان بعد هذا كله صاحب ذوق خاص يفهم الشعر والغناء به . ومذ كان كما يبدو يقصده الملحنون والشعراء أنفسهم يحتكمون اليه فى لحن أو بيت أو ملحن أو شاعر فلا يتباطأ فى حكمه ، ولا يقل له رأى فى ذلك . حديد اللسان والجنان والبيان ؛ ولولا هذه الثقافة وهذه الشهرة لما كان له مقام فى ذلك . ولقد كان عمر بن أبى ربيعة أحسن المقربين اليه ، وكان له معه عشرة حسنة ومجالس طيبة ، وكان له مع شعراء الحب والغزل أمور كثيرة ، ولابد أن حادثة من حوادث غرامه جعلته يحدب على المحبين ، ويمثل دور الرسول بينهم وبين أحبتهم

ويمتاز نقده بأنه كان نقد روح ومعان لا نقد قشور ومبان ؛ ويعود سر ذلك الى أن اللغة العربية كانت لا تزال بعيدة عن الفساد ، وأن لسان العرب كان لا يزال لساناً فصيحا ، وكان نقده أقرب الى أحاديث النوادى ، لأنه نقد بيت أو فكرة ، ولأنه نقد يلم بجانب واحد من المعنى ويهمل بقية الجوانب . ونقده ليس فيه صرامة ولا خشونة ولا صلف ، وإنما هو نقد تهيمن عليه رقة حجازية ومجون برىء يأبى إلا أن يظهر . ومن وراء ذلك تهكم بعيد ويصيب المفصل ! ولهذا التهكم جعل الشعراء يتقربون اليه ويطمعون فى اكتساب رضاته . وهو يذهب تارة فى نقده يكشف عن المعنى غطاء ثقيلا ، وطوراً

يستجلي المعنى البعيد في البيت ويكشف عن قصده ، وتارة يفسد على الشاعر ما ذهب اليه ولم يفطن له ! ومثل هذا النقد أقرب إلى الروح الأدبية في ذلك العصر وهو — بعد هـذا — بعيد عن مثل ذلك الاختلاق الذي وضع على لسان الخنساء يوم نقدت حسان بن ثابت وأضعفت بنقدها اللغوي مواضع فخره ! لأن الوثبات الأدبية الأولى في الأمم لا ترنو إلى مثل هذه الفروق اللغوية الدقيقة التي لا تنشأ إلا عند رجال انصرفوا إلى اللغة وتدقيقها والتفريق بين فروقها ، ولو أن هـذه الوثبات تلتفت إلى هذه الفروق لفاتت كثيراً من روح نشاطها وأخذت كثيراً من نار إبداعها . ويمتاز ابن أبي عتيق بثقافته الغنائية ، ومثل هـذه الثقافة ترقق الذهن وتلطف الحواس وتجعل للبيت المنظوم قدراً خاصا . وقد كانت هذه الثقافة الغنائية عنده سليقة طبيعية . ولقد مر ذات يوم بمعبد وهو يغني — وكان طفلاً — فقال : « إن عاش معبد كان مغني بلاده » وعاش حتى رأى صدق نبوءته . ويمتاز بهذه الروح الخفيفة التي لا يستغني النقد ولا الناقد عنها . ويدل على ذلك مواقف كثيرة

منها أن عمر بن أبي ربيعة شبب بزينب بنت موسى الجمحية بقصيدته :

يا خليلي من ملام دعاني   وألما الغداة بالأظعان

وكان سبب ذكره لها أن ابن أبي عتيق ذكرها عنده ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر . فبلغ ذلك ابن أبي عتيق فلامه فيها وقال له : أتنطق الشعر في ابنة عمي ؟ فقال عمر

لا تلمني ، عتيق ، حسبي الذي بي   إن بي يا عتيق ما قد كفاني
لا تلمني ، وأنت زينتها لي   أنت مثل الشيطان للانسان

فقال أبو وداعة السهمي منكراً على عمر التشبب بها « لا أقر لابن أبي ربيعة أن يذكر امرأة من بني هصيص في شعره » فأجاب ابن أبي عتيق « لا تلوموا أبا وداعة أن . . . من سمرقند على أهل عدن » ومن خفة روحه أن سمع عمر ينشد قصيدته

ومن لسقيم يكتم الناس ما به   لزينب نجوى صدره والوساوس
ولست بناس ليلة الدار مجلساً   لزينب حتى يعلو الرأس رامس
خلاء بدت قمراؤه وتكشفت   دجنته ، وغاب من هو حارس
وما نلت منها محرماً غير أننا   كلانا من الثوب المورد لابس

قال عتيق : أمنا يسخر ابن أبي ربيعة ، فأي محرم بقي ؟ فاعتذر عمر ، فقال له عتيق : يا عاهر ! هذا البيت يحتاج إلى حاضنة . فانظر ما كان أبعد هذه الروح في كشف المستور ، وما أخف روحها في التعبير عنه

ولقد يثب في تهكمه من الأدب إلى السياسـة ويضربهما ويصيبهما بحجر واحد ويكون تهكمه في هذا الموقف الدقيق بليغاً ما بعده أبلغ ! سمع عمر ينشده قوله

فأتتها طبـة عالمة   تخلط الجد مراراً باللعب
إن كفى لك رهن بالرضا   فاقبلي يا هند ! قالت : قد وجب

فقال له عتيق : إن الناس يطلبون خليفة مذ قتل عثمان في صفة قوادتك هذه يدبر أمورهم فما يجدونه . فماذا يستطيع المحال أن يزيد على هذا التهكم ؟ ويسمع عمر ينشده قوله

حبذا أنت يا بغوم وأسما   ء وعيص يكننا وخلاء

فقال له : ما أبقيت شيئاً يتمنى يا أبا الخطاب إلا مرجلاً يسخن لكم فيه الماء للغسل . ولا أدري كيف يوفق بين محرم وطاعة إلا التهكم وحده ؟

ويسمع عمر ينشده قوله :

ليت ذا الدهر كان حتما علينا   كل يومين حجة واعتمارا

فأجابه عتيق : الله أرحم بعباده أن يجعل عليهم ما سألته ليتم لك فسقك ! وهكذا تجد أنه يتصدى لعمر لا لأنه يضمر لعمر مقتاً أو كرهاً ، ولقد كان لعمر في نفسه منزلة لم ينزلها غيره من شعراء عصره وهو الذي تنبأ بنصف بيت كان في خاطر عمر

قال عمر : لا تلمها وأنت زينتها لي
فأجاب عتيق : أنت مثل الشيطان للانسان
فقال عمر : هو والله !

فقال عتيق : إن شيطانك ورب القبر ربما ألم بي فيجد عندي من عصيانه خلاف ما يجده عندك من طاعة ، فيصيب مني وأصيب منه

ولعمر كما ذكرت في نفسه منزلة خاصة إذ يرى فيه المثل الأعلى للشعر ، اليه يسمو الشعراء ، وبشعره يقتدي الشعر . ولقد كان يعرف شعراء عصره منزلة عمر عند ابن أبي عتيق . فكان يأتيه من يحاول مناقضته أو مجادلته فيه ، وكان الشاعر يأتي بأبيات يتحدى شعر عمر ، ولا أعلم شاعراً انثنى سالماً من نقد ابن أبي عتيق ، ولا أعلم واحداً استطاع أن يجرح له حكماً أو نقداً

(دير الزور) البقية في العدد القادم

خليل هنداوي

فى الحيـــــاة

للأستاذ السيد محمد زيادة

لست أكتب هذا لأكتب ؛ وإنما هى شكوى أطرحها هنا . . . أما طرفها الأول فهو أنا ، وأما طرفها الثانى فلا أدرى أهو شعورى المرهف لكل كبيرة وكل صغيرة تمرُّ به ، أم هو وجدانى المستوعب دائماً كلَّ ما فىّ وكل ما أنا فيه ، أم هو نفسى المتفتحة لكل ما ينتهى إليها من أمرها ومن أمر غيرها ! ! .

فأنى فى هذا الشعور بهذا الوجدان مع هذه النفس أعيش فى الدنيا كسفينة المستكشف عملها فى اليمّ أن تظل حائرة على وجه اليم فلا تكاد ترسو إلى شاطئ إلا لتنشد غيره ؛ ويتملك رأسى خيالٌ يقظ لا يهجع . ويقظة الخيال شقاء من الفن فهى شقاء فى كل مواقع الحس لكل نواحى الحس

وأرانى منكوباً بهذا الخيال مرزوءاً بهمّه ، ثم أرانى أحبه ولا أحيا بغيره . . . فكأنما أنا بين بليّتين فيهما مشكلتان لا حل لهما فلا نجاة منهما . . .

وأحس أننى قد قدر علىّ أن أعيش هكذا حتى أموت هكذا ؛ فما أستريح يوماً من سعى الخيال وراء ما يعنى ومالا يعنى ، ولا أقصر يوماً عن التفكير فى صوره التى يستخرجها من صور الحياة . أترانى مقطوعاً من قمة جبل محطوطاً عند سفحه ، وأريد أن أرى وأنا عند السفح ما أراه وأنا فى القمة ؟ . . أم ترانى أخطأتُ إذ خلقتُ لتحتوينى الدنيا فظننت أننى خلقت لأحتويها ؟ . .

* * *

أمشى فى الطريق فأرى قصاباً يمر بسكينه مرتين على رقبة ديك كبير ، ثم يقذف به بعيداً ؛ فيقف صامتاً تتدفق الدماء من عنقه ، وتزوغ عيناه فتارة تشخص إلى القصاب ، وتارة تتطلع إلى الصبية الملتفين حوله يشهدون مصرعه ، وتارة تنظر إلىّ وكأنها تقول كلاماً ، ثم يرقص الديك رقصة الموت إذ ترنّحه المنية ، ثم يرتمى على الأرض . . . فألقى عليه نظرة ساكنة ثم ألتفت عنه وآخذ سبيلى فاذا هى على غير ما كانت عليه ، وكأن الشارع بما فيه من سابلة وما يحفه من مبانٍ خلوةٌ هادئة فى وهدة غارقة بين نجدين . فأستعيد صورة الديك مضطرباً ثم مذبوحاً ثم هامداً فيخيل إلىّ أنه كان وقت ذبحه يقول : الآن قد آمنتُ بأننى ما خلقت إلا ليأكلنى من كان يطعمنى . .

ثم أغيب عن الوجود غيبة ، وأظل أفكر ويشغل بالى التفكير . وقد يستنفد هذا من وقتى ومن ذهنى ما أنا فى حاجة إليه لشؤونى

* * *

وأنطلق مع صديق لى إلى ناحية المروج فى نزهة خلوية فتقابلنا على الأرض نملة تسعى ، فيدوسها الصديق بقدمه عامداً إلى قتلها ؛ ولكنه يتركها تتلوى فلا هى بالحيّة ولا هى بالميتة ، فيشجر بينى وبينه شقاق فى الرأى حول فعلته . . . أريد أن أثبت له أنه مخطئ وأن الله لم يجعله على الأرض مبيداً للحشرات ، ويريد هو أن يثبت لى أنه مصيب وأن الله لم يجعلنى على الأرض مرشداً للناس . وبطول الخلاف بينى وبينه ، فلاهو مقتنع بأن عمله هذا قسوة ولا هو مقتنع بأن عمله هذا رقة ؛ فأضطر إلى السكوت على مضض وأمشى مشفقاً على النملة المتوجعة ، متألماً لطغيان القوة على الضعف ، متعجباً لاعوجاج معنى الحياة ، حاملاً من إشفاق وتألى وتعجبى ثورة على صديق . . . لقد ديستْ النملة وتحطمتْ وبقيتْ تتعذب حتى تموت فماذا جرى منها حتى تستحلّ ما جرى عليها ؟ . . وأين الرحمة ؟ أين الرحمة ؟

وأظل أتفيظ وعلاً الغيظ نفسى ، وقد يذهب هذا من مرورى ما أنا فى حاجة اليه لنفسى

* * *

ويصادفنى فى الطريق رجل كسير مسكين يترقرق الدمع فى عينيه ويكاد يطفر ، وتجول الحسرة الصامتة فى جبينه وتكاد تتكلم ؛ فتلتقى عيناى بعينيه فى موضع الفاقة من هيكله ، ثم يلتقى شعورى بشعوره فى موضع الألم من نفسه ... وأراه يتلفت عن يمينه وعن شماله متفرساً فى وجوه المارين به من الزوارق اللاهية بالصخرة الحزينة ، فأذهب أتصور نفسى بائساً بؤسه حائراً حيرته واقفاً ، وأمكث أتحرى فى مسارح شعورى ما كنت أقوله لنفسى وما كانت نفسى تقوله لى ... حتى أسمع فى وجدانى هذا الحديث : كنت أقول لنفسى : أنا جائع فهل من هؤلاء الناس السعداء من يعرف الجوع ؟ وهل منهم من يرده ؟ ... وتقول لى نفسى : أمسك على الطوى فليس بين الناس من يرجى ، وليس

غير الله من يُسأل ... فأقول لها وهل المحسن من الناس إلا يدٌ من الله تمد بالحسنة ؟ ... فتقول لي : يد الله لا تنتظر السؤال لتعطي ...

ويتمطط حديث الوجدان ويطول ، وأظل أتحسر ولا أستطيع إلا أن أتحسر ؛ وقد يستغرق هذا من وجداني ومن خاطري ما أنا في حاجة اليه لعملي

* * *

وأجلس في غرفتي مسهداً في هدأة الليل تشرف بي جلستي على دور ومن ورائها حقول ومن ورائها ما لا يرى ... فتذهب عيني إلى مسارب الفكر ، ويغوص فكري إلى أعماق الكيان . فماذا أجد هناك ، وما تحمل نفسي من هناك ؟ !

أجد هناك إرادة الحياة تغالب إرادة الموت فتتجاذبان روح الانسان ، والانسان بينهما عاجز لا حيلة له ، ضعيف لا قوة فيه ، مسخر لا رأي عنده ... وما تزالان تصطرعان حتى تهتديا إلى حل تصطلحان عليه ، هو أن يموت الانسان جزءاً من اليوم على قدر استعداده للخمود والموت ، ويحيا بقية اليوم على قدر استعداده للعمل والحياة ؛ وتتفقان على أن تسمى تلك الموتة اليومية الصغيرة بالنوم ، فيقال نام .... حتى تعافه الحياة فتنزل عنه للموت فيقال مات ...

وتحمل نفسي من هناك كلمة الفناء ومعها كلمة الألم ؛ وأقول لنفسي : حقاً إن هذا الذي نسميه النوم ما هو إلا راحة أصغر من راحة ، فهو موت أصغر من موت ... يا عجباً ! ! أهكذا جُعل الموت على رقابنا حتى لم تخلُ منه الحياةُ نفسها ؟ ! أهكذا خُلقنا لنموت ونحيا كل يوم ثم نموت في يوم فلا نحيا ؟ ! ثم أقول : يا ويلتاه ... لن ألبث إلا قليلاً حتى أكون في عداد هؤلاء الأموات الذين تركوا الدنيا وما يزالون فيها . . فمنهم من يبعث ليأرق ثم يموت ، ومنهم من يبعث ليشرب ثم يموت ، ومنهم من تدخله موتته الصغرى في موتته الكبرى فلا يبعث إلا يوم الحشر ...

وأظل أتأمل وأتوزع بين التأملات ؛ وقد يشغل هذا من بصيرتي ومن إدراكي ما أنا في حاجة إليه لقلبي

* * *

وآوي إلى مضجعي قبيل الفجر مهدماً كالقادم من سفر طويل ، مكدوداً كالفارغ من عمل شاق ؛ وألقي برأسي على الوسادة ثقيلاً كالحجر ، ساخناً كالأتون ، ممتلئاً بما أفرغت فيه المشاهد والمشاعر من صور طول النهار ومعظم الليل ... وفيما أنا أستشعر الخلو ، وأتلمس الاستقرار ، وأستكفي مني عناء التفكير ، وأقنعه بضرورة الرقاد ... يطرق مسمعي صوت بوم ينعب ، وأنا لا أمقت كما أمقت البوم طائراً نافعاً أو ضاراً ؛ فأنهض من فراشي لا لأغلق النافذة دون ذلك الصوت الكريه البعيد فأزيد بعده أو أصده ؛ وإنما لأطل من النافذة فأقترب من ذلك الصوت الكريه البعيد فأسمعه جيداً لعلي أفهم غموضه فأفسره ...

وتمر من الليل فترة وما تكاد تنقضي حتى أجدني قد انقلبت عاطفاً على اليوم واجداً في نعيبه جمالاً ولذة ؛ وما تغير هو حتى صار محبوباً ، وما تغيرتُ أنا حتى صرت أحبه .. ولكني إذ أفتح لسماعه آذان نفسي أسمعه كالمغني ، وإذا أفتح لغنائه آذان عقلي أتسمع فيه نداء المحب المشتاق للحبيب الغائب ...

وأظل ألقي على نفسي في أمر البوم ونعيبه وشؤمه السؤال بعد السؤال ؛ وقد يأخذ هذا من راحتي ما أنا في حاجة إليه لجسمي

* * *

وهكذا أراني منكوباً بهذا الخيال مرزوءاً بهمه ، حتى ليقودني إلى جنون شعري ثائر يفقدني لذة التمتع بمظاهر الكون وجماله في البحث عن حقيقة الكيان وأسراره

والعزيز علي هو أني لا أملك الخلاص من الخيال ، فأنا لا أملك الخلاص من هذا التعب — اللهم إن كان هذا من فطرة الشعر فليبست الفطرة ، ولخير منها فطرة الجمود والبلادة

إن من الناس أناساً يعيشون في هذه الحياة ليعيشوا فقط ؛ لا فكر في أدمغتهم ، ولا حرب في عقولهم ، ولا نصب في أفئدتهم ... كأنما خلقوا جسوماً بغير قلوب ، ولكنهم سعداء لأنهم يشعرون بأنهم سعداء ! !

أريد أن أجرب هذه السعادة فأطرح هموم الخيال ، وأنسى خيال الهموم ، وأعيش بظاهر ما أرى .. أريد أن أفهم ولو يوما واحداً أنني سعيد وإن فهم الناس في ذلك اليوم أنني شقي

(لنطا) السيد زيادة

بغـــير عنوان . . .

[إن وجدتم فى هذه الكلمة صراحة فى الوصف ، فلا تلوموا الطبيب فإنه يصف المرض ، ليعين الدواء]

للأستاذ على الطنطاوى

كان شابا غَرًّا نقًا جميلاً ، صبوح الوجه ، متأنثاً ، قد أصيب بمرض التَّجمل ... فلم يكن يجىء إلى المدرسة إلا متزيناً مستعداً استعداد عروس تزف إلى بعلها ، قد صفف شعره ودهنه وعطره ولبده وعقربه على صدغيه ، وحلى وجهه وصقله ، وصنع به ما لست أدرى ... فبدا أبيض أحمر مشرقا مجلواً صقيلاً ، كأنه صفحة مرآة ... وكشف عن أعالى صدره ، وأحاط عنقه بهذه العقدة التى يفتن فى عقدها واختيار لونها واتساقها مع الحُلة التى يلبسها افتناناً .... ولا يزال أبداً يمدّ يده إليها يتلمّسها ، ويصلحها ويطمئن عليها ، ثم يحرك رأسه حركة غنجة يردّ بها عقارب صدغيه إلى مكانها !

وكان واضح الجبين ، أزجّ الحاجبين حتى كأنهما قد خطا بقلم ، أنجل العينين أشهلهما كأن لها لون السماء وعمق البحر ، وكأنهما تستجديان الحب ... إذا نظر غض الطرف من الحياء ، ودانى بين جفونه ، وبرقت عيناه الناعستان فقالتا كلمة فلم تتم ، فأتمها فمه القانى الصغير وشفتاه المضمومتان ... وإذا تكلم تكلم بصوت لين حالم سكران ، كأن ألفاظه تقول شيئاً ، ولهجته ونبراته تقول شيئاً آخر ، تقول : إن رجولة صاحبى رجولة ضرورة ! وإذا مشى تثنى وتخلع وتكسر ، وماج جسمه موجاً ، وذهب كل عضو منه فى ناحية ، كأن جسمه متفكك ، قد تقطعت أوصاله وفصمت عراه وانحلت لوالبه .... وإذا دعوته أقبل الى يتهادى ويميل ، فاذا وصل الى حيث أكون ، وجد أقرب متكأ فاستند عليه ، كأنه بناء لا يقوم الا اذا اسندته بدعامة ، واذا كلمته خجل كأنه فتاة فى الخدر ، وأجاب بصوت خافت يكاد يبتلعه الخجل ، فكنت أزعق فى وجهه من الغيظ ، ثم أطرده طرداً ...

ولم يكن ينصرف الى علم أو يقبل على درس ، لأن عقله قد سال على جوانب جسمه خرقا وثيابا ، ولم يبق منه فى داخل ما ينفع لعلم أو درس ، فهو دائماً ينظر فى عطفيه ، ويتأمل ثيابه ويخرج من جيبه مشطه ومرآته ، ولولا بقية من حياء لأخرج أبيضه وأحمره ولم شفتيه ...

وكنت أراه فى باحة المدرسة فأراه غريبا عن هؤلاء الشباب لا يطيق حراكا ، ولا يحسن لعبا ، ولا يدفع عن نفسه اعتداء ، وما فيه من الرجولة الا اسمه وبدلته

* * *

وحاولت اصلاحه ، وتعهدته بالنصح والارشاد ، فكنت كمن ينفخ فى غير ضرم ، فأيست من اصلاحه وكرهته وأبغضته ، وجعلت أزوى بصرى عنه ، وأتناساه وأهمله ، ثم افتقدته فلم أجده ، ثم علمت أنه قد فارق المدرسة

ومرت أسابيع ، ثم رأيت فى مكانه طالباً جديداً من الطلاب الذين يتدربون على الجندية ، يلبس الثوب العسكرى ، وعلى وجهه طابع الرجولة : له شاربان كاملان ، وأثر اللحية ظاهر على خديه ، والقوة والصرامة بادية فى عينيه وملامحه ؛ وكان قوى النظرات ، صماقا جهير الصوت ، ذكياً مقبلاً على الدرس ، فطناً ألمعياً ؛ وكان سريع الحركة ، جم النشاط ، اذا دعوته أقبل يسير بخطى موزونة ، يطأ الأرض وطأ شديداً ؛ وقد نصب قامته ورفع رأسه ، فاذا قام بين يدى قرع رجلاً برجل ثم رفع يده بالسلام لا كما يرفعها مثلى أو مثلك ، بل كما يرفع يده الجند بالسيف يسله من قرابه ، واذا كلمته أجاب بجرأة وأدب ؛ وكنت أراه فى ساحة المدرسة ، فأراه على اجتهاده واقباله على العلم ، قوياً نشيطاً يصارع الطلاب ويباطحهم ، فاذا تمكن من منهم وعلا عليهم عفا عنهم وأبقى عليهم ، فكنت أعجب من قوته ونبله ، وعلمه وفضله ، وأكبر فيه هذه الصفات

* * *

ثم اننى أحببت أن أشجعه وأضرب منه للطلاب مثلاً ، فتكلمت وأثنيت ، وقلت : كم بين هذا وبين ذاك من فرق ...!!

فصاح الطلاب : ومن هذا ومن ذاك ؟ انهما شخص واحد !

قلت : ويحكم ! فأى معجزة هذه التى بدلته شخصاً آخر ، وأنشأته انشاء جديداً ؟

قالوا : يا أستاذ ... إنه تدرب أسابيع على الجندية ... ...

(بغداد) على الطنطاوى

في الموسيقى

إلى الأستاذ محمد عبد الوهاب

للأستاذ محمد زروقي

سيدي الاستاذ :

لا أدري إذا كانت أعمالك الكثيرة تسمح لك بتوجيه بعض اهتمامك الى ملاحظاتي الآتية ، كذلك لا أدري إذا كانت وجهة نظري تبدو لك على صواب . وبالرغم من ذلك فاني أحسن الظن بك ، وأسجل هنا أني آمل منك أن تتنازل لسماع صوت متواضع من بعيد لشخص من أكثر المعجبين بك والمتحمسين لك

واسمح لي بادىء ذي بدء أن أوضح لك نقطة هامة راجياً منك العفو وحسن القبول

وليس لي أن أوجه خطابي الجريء الى الأستاذ محمد عبد الوهاب الذي ليس لي شرف معرفته المعرفة الكافية ، ولكني أوجهه الى فنانى المفضل ، الى ذلك الذي كثيراً ما أستمع اليه ، الى ذلك الذي يستطيع — كصديق حميم — أن يفتح لي قلبه بكرم فأرى وأميز قلبي منعكساً عليه

وهنا يخيل إلى أن معرفتي الدقيقة بالفنان — وهي ترجع الى مدة بعيدة — تحتم علي ألا أخفي عنه شيئاً ، وإلا كانت بمثابة خيانة له . كما يخيل الى أن تبادل الشعور يجعل لي الحق ، وربما يتطلب مني البحث عن شيء من أخطائه والاحتجاج على بعض وسائله

بعد ذلك أبدأ — إذا سمحت لي — بأن أعبر عن الأسف الذي يعتورني عند ما أسمع بعض مقطوعاتك المشهورة مثل « في الليل » و « اللي انكتب » باللهجة المصرية ، في حين أن لغة امرىء القيس والمتنبي هي التي كان يجب استعمالها إذا كنا نود أن نهدي الى أحفادنا مثل هذه الأعمال الخالدة . فذلك الذي أودع « يا جارة الوادي » في أسطوانة يجب ألا يتقيد بحدود البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط ، وأن يظل ضمن الحدود التي اختطها الفراعنة « فماذا تهم الزجاجة نفسها ما دامت تسكرنا ؟ »

وإني أشارك « نيتشه » رأيه الذي يقول بأن العاطفة يجب أن يعبر عنها الصوت دون غيره ، وألا نعطي للكلام أكثر مما يستحق من الأهمية ، ولذلك فأنني أعطي الموسيقى نفس المرتبة التي يضعها فيها المفكرون : تلك المرتبة التي تحلها محل الكلمات العاجزة عند ما تكون هذه الأخيرة فقيرة وقاصرة أمام مطالب الحساسية القوية

الآن أنتقل الى الغرض الأساسي من خطابي :

حاولت في بحث قصير كان موضوع إحدى المناقشات أن أوجد مقارنة بين الحساسية في الغرب وبينها في الوسط الذي أعيش فيه ، وذلك عن طريق دراسة أقوى وسائل التعبير عنها — ألا وهي الموسيقى — ولكي أعزز مناقشتي لجأت الى الأدب وتاريخه وشخصياته البارزة . وحينئذ أصبحت مدفوعاً الى أن أقرر بأن الغرب قد تأخر الى القرن التاسع عشر ليشهد ازدهار « المذهب الرومانتيكي » أي تلك الحركة الفكرية والفنية التي تشبه أدبنا الى حد بعيد . ولذلك فان أوروبا لم تخلق إلا حديثاً ، وحديثاً جداً من يكمل ما بدأه عمر الخيام والمعري والفردوسي . فالبغتة الحزينة المؤلمة التي بعثها الفيلسوف شنهور (١٧٨٨ — ١٨٦٠) هي التي ألهمت كل الموسيقيين الرومانتيكيين ، هؤلاء الموسيقيين الذين عالجوا مسائل القدر المعقدة ، وآلام الانسانية المحكوم عليها بالعذاب . وإن أشهر زعماء التشاؤمين الغربيين ليس لهم أن يعلموا شيئاً ، كما أن شوبان الذي قيل إن « توقيعاته ما هي الا دموع متساقطة على أصابع البيانو » لم يصل مطلقاً الى ما وصلت اليه أغانينا الحزينة حسب رأيي على الأقل

ولاشك في أن الموسيقى ليست عالمية . فلن تستطيع أن تفهم « سيزار فرنك » كما يفهم نفسه أو كرجل مسيحي ، ولا « بتهوفن » بدون دراسة عميقة للفلسفة الألمانية . وانى أحاول في حكمي أن أتناسى الآراء التي انتقلت الى بالوراثة ، وأن أتحاشى التحيز والتعصب في نقدي ، وأنا لا أنكر أن هذا العمل يتطلب مني جهداً عظيماً ، وتسامحاً كبيراً . ولكن دراستي المتواصلة والبعيدة عن المحاباة لشلر ومدام دستايل وشاتوبريان وبيرون وبودلير ، الذين أذكرهم هنا كقادة المدرسة الرومانتيكية ، لا ترسم لنا صورة جديدة أو أثراً يكون أجنبياً عنا جقيقة

بقى علينا أن نتساءل فى صراحة : أليست الموسيقى الغربية التى لا تسير الا فى المحيط النظرى (الميتافيزيقى) أكثر تأخيراً من موسيقانا ؟

إن أوروبا بمؤلفيها الموسيقيين فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين — برغم أعمال سترافنسكى — تُظهر تخبطاً لا نهاية له فى محاولتها دراسة القضاء والقدر التى تتحكم فى رقاب الناس . فاعتبار هذه الحالة درجة من الكمال تستحق أن تحتذى كما يحتذى التقدم العلمى ونظرياته تكون غلطة ما أقبحها من ذلك الشخص الموهوب الذى يصدح على ضفاف النيل . فالبحث كذلك عن مناح جديدة فى الألحان الغربية واستخدام وسائل تعبيرها يعد منا رجعة الى الوراء

وقد ظهر لى أن محاولاتك نتجه يوماً بعد يوم نحو توافق الأصوات واخراج مجموعة متنافرة منها فى لحظة واحدة وبالتبعية محاولة التعبير عما يضطرم فى نفسك بما تستخلصه من ذلك

كانت النغمة الفردية الأوربية دائماً أبداً ضعيفة ، فلا عجب أن نراها تلجأ الى تلك الأصوات المتجمعة ؛ هذه الأصوات تعبر عن أشياء متباينة ، ولكنها تصدر فى وقت واحد لتنتج من ذلك تآلفاً فيما بينها . ولا أدل على ضعف العلم الموسيقى الغربى من اقتصاره على استعمال النغمتين فقط (ويلاحظ أن النغمة المنخفضة ترجع الى عرب اسبانيا) فى حين أن الفرس فى العصور الوسطى قد استعملوا ستا وثلاثين نغمة وأن الأندلسيين استعملوا أربعين منها ، وأن الشرقيين بعكس المؤلفين الموسيقيين الحديثين لم يجعلوا ألحانهم تعتمد على قدرة آلاتهم وعلى الأخص على وضع علامات لها

وليست الرغبة فى استعارة آلات موسيقية عجمية «كموسيقى اليد» إلا وقوعاً منا فى نفس الخطأ الشنيع الذى وقعوا هم فيه وتجنياً منا على الموسيقى الشرقية

ومهما كانت محاولاتك جريئة وتستحق الاعجاب فيجب أن تعرف — فى رأيى المتواضع — كيفية الرجوع الى مصادر الأشياء ، وأن تتساءل عن ماهية العوامل التى تهيىء الخلود لفكرة ما ، وأن تفكر فى النتائج التى يصح أن تنتظرها من وراء هذا الاقتباس . وهنا يجب أن تعترف بأن قوانين الوراثة تلعب دورها الهام : فإن «بولديه» و «برليو» لا ينسبان فضل أعمالهما الى نفسيهما فقط . . . . لأنهما رضعا ألحانهما من ثديى أميهما اللتين حصلتا عليها بدورهما ممن سبقوهما ، وهما ليستا إلا حلقتين من سلسلة طويلة

وليس من الغريب أن نرى وجوه الغربيين عند ما يستمعون الى موسيقانا وقد ارتسمت عليها تلك الابتسامة التى ترتسم على وجوهنا نحن عند ما نستمع الى الموسيقى الأولية . وهناك حقيقة أخرى أكثر خطرا ، وهى أن الأوربيين لا يكادون يفهمون من أنغامنا الموسيقية إلا ما استعرناه منهم ، وحيث أننا لم نوفق فى استعارتنا فهم لا يحجمون عن الحكم على الجزء الغربى منه بأنه ردىء

وهذا ما يدفعنى الى سرد أمثلة من خطواتك المحيرة غير الموفقة : «فبحارة الفلجا» أغنية روسية واقعية تعبر عن العذاب العقلى والجثمانى الذى كان يعانيه سكان قلب الروسيا ، وقد أخذتها أنت بنفسك فى فلم «الوردة البيضاء» وهو فلم شعرى خالص : فالشقة بينهما بعيدة بعداً شاسعاً

و «ياشراعاً» وهى قصيدة مقدمة الى الملك فيصل عبارة عن نشيد يراد به مدح بلاد الرافدين ، فهل يصح أن نقبل هذه النغمات التى تحرك العاطفة بدون شك ، ولكنها خالية من الحمية والملاطفة التى يجب أن تكون عند مَنْ يريد أن يمدح ملكا محبوباً يعجب به ؟ ففى هذا النشيد نبحث عبثاً عن الحمية التى نراها فى نشيد « Le Marche du Prophéte » لميربيير الذى فيه يعبر عن الكثير من العظمة والنبل

وعند ما نمعن النظر فى مقطوعاتك الأخيرة نلاحظ فى حسرة شديدة بأن «الحركة» قد زادت فيها كثيرا بحيث أن الأذن تتساءل فى حيرة عما إذا كنت أنت حقيقة الذى ملأت اسطوانة «أيها العلم الخفاق» رقم ٩٩،١٠٤٠ (١)

(١) هذا الخلط غير المقبول بين ألحاننا والألحان الأوربية مما يستدعى مزيد الأسف وهو فى رأيى لا يختلف عن وضع المستردة فوق الكسكسى ليعطى له طعماً شهياً وهذه الحالة تذكرنى بالبضائع الغربية الرديئة التى كثيراً ما يضعها أغنياء المسلمين فى منازلهم : تلك البضائع التى تتنافر مع بدائع الفن وروائعه ، أو مع سجاد بخارى القديم وسجاد القيروان والرباط والرسوم الدقيقة على النحاس المصنوع فى الأندلس وفى سورية

فهل يجب علينا إذن ألا نستوحي شيئاً عن الموسيقى الغربية ؟ لا بكل تأكيد . وليكن ذلك لمجرد الاطلاع فقط . فمن الضروري أن ندرس هوجو ولامرتين وشكسبير ورابندانا تاجور وإبسن وكبلنج وتولستوي وسرفنتس لكي نفهم الآداب العالمية ، وهذه الدراسة ليست أقل لزوماً من إرسال أبنائنا الى الخارج لتمضية بعض الوقت في « مدرسة الفنادق في جرينوبل » أو في معامل الاختبار المراكز الصناعية في « برلي » و « برمنجهام » وفي الأحواض البحرية في « نانت » و « كيل »

ولكي أعزز رأيي هذا أذكر الحقيقة التاريخية الآتية : عندما انتصر هرون الرشيد على الامبراطور نيقفور البيزنطي عام ٨٠٦ ميلادية نص في معاهدة الصلح بينهما على شرط يلزم المغلوبين بتسليم العرب جميع المؤلفات التي خلفها القدماء والمحفوظات الموجودة في دور الكتب بالقسطنطينية القديمة . وقد برهن العاهل العربي مرة أخرى على ذكائه الفائق وفهمه للحقائق ، فقدّر أن شعبه يجب أن يتفهم ويستوعب سريعاً كل المعارف التي وقف السابقون على أسرارها ، وأن العرب بدون مساعدة غيرهم لا يمكنهم تأسيس حضارة ثابتة ؛ ولذا يجب عليهم أن يستعينوا عن تقدموهم من مصريين وكلدانيين ويهود وفرس وهنود ويونانيين ورومانيين وقرطاجنيين ، وأن يستفيدوا من معارفهم ، وأن يتوفروا على دراسة أوراق البردى واللوحات وتماثيل الآلهة . فبعد أن درس العرب العصور السابقة أمكنهم أن يضيفوا معارف من سبقوهم الى معارفهم الخاصة التي ستبقى على مدى الأيام

وكذلك اليابان : فما الذي فعله حزب التجديد عندما تربع في دست الحكم عام ١٨٦٨ ؟ لقد بدأ بدراسة مبادئ الأحزاب الأخرى في الدول المتمدينة

فاذا تحدثنا عن القلب ونشاطه والحساسية وطرق التعبير عنها وجدنا الأمر هنا مختلفاً عن ذلك ، وهذه النقطة الهامة هي محور بحثي : فالاحساس المتناهي ورد الفعل وتجسيم التأثيرات النفسانية لا يمكن أن تقارن بالمعارف التي يمكن اكتسابها

وهناك نقوش فرعونية تذكر بعض النصائح الموجهة من أم الى ولدها يوم أن عهدت به الى أستاذه . وهناك نقوش أخرى تعبر عن مثال خالد : ذلك هو ألم الأشخاص المحكوم عليهم بالعمل اليومي الشاق المضني . فعليك أيها الأستاذ أن تبحث في زوايا التاريخ عن ألحان أكثر إنسانية ! بل من السهل عليك أن تتخيل الأمهات في هذه العصور البعيدة وهن يهززن مهود أطفالهن بنفس المحبة والعناية والحنان التي تبديها أمهات العصر الحالي . أليس من الخطل والنفاق أن نعتبر وقع الألم النفساني الذي عاناه أسلافنا أخف على نفوسهم من وقعه علينا ؟ وإني لا أجد صعوبة في أن أتخيل الألحان الجميلة التي كانوا يعبرون بها ويصورون عواطفهم التي تتوثب من الألم

وللرجوع إلى الحديث عن محاولات التجديد أو فرنجة موسيقانا يمكنني أن أضرب مثلاً بأحد موسيقيينا الذي حاول منذ سنوات أن يعبر عن بعض مقطوعاتنا الشعرية بأوزان أوروبية ، فكان سبب نجاحه أنه قد استحدث شيئاً جديداً ولكنه كان نجاحاً قصير الأجل ، وسرعان ما أسدل النسيان ستاره على هذه المحاولة وحسناً فعل . وقد بدأ مغني الجزائر الحالي أو « كاروزو شمال أفريقية » كما أطلق على نفسه بالقاء مقطوعات تحترم موسيقانا القديمة ، ويجب علي أن أشير أثناء حديثي إلى أن طرق التلحين الأندلسية الاثنتي عشرة التي لا زالت مستعملة في المدن الرئيسة بشمال أفريقية ليست إلا مخلفات وبقايا بالية في حاجة إلى عيون عالم بالآثار — وأقصد أذان رجل موسيقي — انكشف في هذه البقايا عن عظمة القطوعات التي كانت تردد تحت أبواب الحمراء الرمزية ، أو تحت ظلال الأشجار الوارفة في اشبيلية وقرطبة (١)

ومهما يكن من شيء فان استعمال هذه المخلفات القديمة لا يدخل كثيراً من التغيير على قواعد الموسيقى ، إذ أن في ذلك محافظة على تراثنا القديم

ولكن للغرب سحره الأخاذ ما في ذلك من شك ، لأن

(١) وإني لا أستطيع أن أتكلم أكثر من ذلك عن الموسيقى الأندلسية وحالتها الراهنة إلا إذا أطلت كثيراً في ملاحظاتي التي ذكرتها الآن . ومع ذلك فاني أشير هنا إلى أن العرض السريع الذي لم يسبقه تحضير كاف لبعض نماذج من هذه الموسيقى الأندلسية في مؤتمر الموسيقى الأخير المنعقد بالقاهرة لم يكن عرضاً صادقاً بل خيانة حقيقية لأن الجمهور الذي يجهل ما اكتنف عرضها من عوامل قد نظر إليها نظرة ليس فيها تقدير

مغنينا الجزائرى خضع لتأثير الأوبرا ، واستمع بسرور إلى الألحان القصيرة من الأوبريت والصالات ؛ تلك الألحان التى طغت شيئاً فشيئاً على مقطوعاته حتى أصبحنا الآن نلمس فيها أكبر فشل فنى معيب

وقد سارت المرحومة أنيسة يامنة الجزائرية فى طريق مخالف لذلك كل المخالفة . فهذه الموسيقية انتهجت نهج الغناء القديم الذى يمكن تقدير أهميته ، واستندت إلى شعورها النسوى القوى وخبرتها الموسيقية الطويلة . وكانت تذهب للاقامة بين أفراد الطبقة الفقيرة وبين العرب الرحل لتغترف من شعورهم البسيط الخالى من كل زخرف ثم تعود بمحصول غنى متنوع وفير ، وبعد ذلك تستسلم لتفكيرها ولأبحاثها وتستمع الى نفسها وتستوحى صوت أجدادها ثم تترك قلبها يعبر عما فى خلدها بألحان تخلب الألباب

وإنى أعرف الكثير عن الطريقة المخالفة لتلك التى يتبعها الأستاذ ، وبمعنى آخر ترجمة الغربيين واقتباسهم لموضوعاتنا ؛ وأسوق اليك هنا مثلا مشهورا لأوضح وجهة نظرى : أقام المؤلف الموسيقى سان سانس حقبة طويلة فى الجزائر ، ولذلك يقوم مؤلفه المشهور « شمشون ودليلة » على طريقة التلحين الأندلسية « زيدان » . ولا أتردد فى أن أضيف الى هذا المثل مثلا آخر فيما فعله ف . دافيد الذى أمكنه بعد رحلة طويلة إلى الشرق أن يخرج مؤلفيه : « الصحراء ، ولالاروك » . وكذلك فعل الاسبانيون وكذلك « بيزت » فى « كارمن » (١٨٧٠) وغير هؤلاء من الذين يدينون بالشىء الكثير الى الأندلس فى القرون الوسطى . ومثل هؤلاء أيضا موسيقي وسط أوربا مثل لست وشوبر وموزار وبعض موسيقي أمريكا الجنوبية أيضاً الذين وجدوا فى ألحاننا مورداً فياضاً لا ينضب

والآن أعود متسائلاً إذا كان العكس ممكناً : فتقدم الموسيقى الغربية — فى رأيى — قد بدأ يصل إلى درجة التشاؤم التى تكلمت عنها من قبل . وإنى لا أفكر لحظة فى أن أحط من شأن « الأرلزين وفيدليو ولوهنجرين » ولا أريد إلا أن أضع كل موسيقى فى الوضع المناسب له . وأنى لأذكر هنا ما قاله المسيو « أندريه كوردى » فى مؤلفه « مشاهد الموسيقى العصرية » : صراع دائم .. الموسيقى العربية تحتضر كل يوم بانصالها بالموسيقى الغربية ؛ وستموت الموسيقى الشرقية إن عاجلاً وإن آجلاً إذا لم تثابر على مقاومة الموسيقى الأوربيــة الزاحفة عليها بموسيقى شرقية بحتة

قد أكون فيما كتبته أعبر عن أمنية لى . فالفنان الكبير الذى لمصر فخر الاحتفاظ به ، والذى له تلك المهارة الفائقة التى استطاع أن يهضم بها بعض القطع الخالدة فى الموسيقى الرومانتيكية ، لن يعجز بفضل ما وهبه الله من حسن اختيار أن يوفق فى أعماله القادمة فى مزج الموسيقى العربية بالافرنجية بدلاً من المجهود الضائع فى اخراج ثمرة غير ناضجة لا يهضمها الذوق العربى . وإنى أتمنى له التوفيق المطرد والفوز العظيم

(تلمسان) محمد رزوقى

فرصة أدبية لآخر نوفمبر فقط

كتب بقلم محمد عبد الله عنان

مصر الاسلامية

ثمنه ١٥ قرشاً ويباع بخصم ٣٣٪ أى بـ ١٠ قروش

قصص اجتماعية

ثمنه ١٠ قروش ويباع بخصم ٤٠٪ أى بـ ٦ قروش

ابن خلدون حياته وتراثه

ثمنه ٨ قروش (مجلداً بالكرتون)

وثمن الثلاثة كتب معاً ٢٠ قرشاً أى بخصم ٤٠ ٪

عدا البريد ، وهو قرشان عن كل كتاب داخل القطر وأربعة خارج القطر وللثلاثة كتب ٥ قروش فى الداخل وعشرة فى الخارج ويطلب من مجلة (الرسالة) ولجنة التأليف والترجمة بشارع الكردانى ومكتبة النهضة بشارع الدابغ وباقى المكاتب الشهيرة وطلبات الجملة من المؤلف تليفون ٤٤٦٨٣

الفصل فى نبوة المتنبى

من شعره

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ٣ —

ولنعد إلى النظر فى قصيدة المتنبى :

كم قَتيلٍ كما قُتِلْتُ شهيدِ   ببياضِ الطُّلى وورْدِ الخدود

فقد ابتدأها المتنبى بالنسيب على عادة الشعراء ، وتدله فى ذلك النسيب كل التدله ، وقتل نفسه فيه من فرط الصبابة والوجد ، ثم ذكر أيام الصبا والجهل وحنَّ إليها ، وتفنن فى وصف الحسان اللاتى نسب بهن أيما تفنن

ولم يكفه ذلك التدله فى النسيب ، والتفنن فى وصف النساء ، بل عمد إلى الخمر ينسب بها أيضاً ، ويتدله فيها بأكثر مما تدله فى نسيبه

ولا شك أن هـذا الأسلوب فى النسيب ووصف الخمر ، لا يتفق مع ذلك الأسلوب الذى ينسب إليـه فى دعوى النبوة ، ولا يمكن أن يحصل هـذا وذاك من شخص واحد ، لاختلاف نزعتهما ، وتباين المشارب فيهما ، واتجاه كل منهما إلى غاية تخالف الأخرى ، فهو فيما ينسب إليه فى دعوى النبوة رجل جد وصلاح ، مبعوث إلى هذه الأمة الضالة المضلة ، ويريد أن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ؛ وهو فى قرآنه يدعو إلى الايمـان ، ويحارب الالحاد ، ولـكنه فى شـعره هازل خليع ، يدعو إلى الفسق والفجور ، وينغمس فى حمأة الضلال ، ويبلغ من أمره أن يستهتر بالايمان والتوحيد إلى هذا الحد فى قوله :

يترشفن من فَمى رَشَفاتٍ   هُنَّ فيـه أحلى من التوحيد

وهذا البيت يذكر فيما يؤخذ على المتنبى من الالحاد فى الدين فكيف يتفق أن يأتى فى شعره وهو فى عهد يدعو فيـه إلى التوحيد ويحارب الألحاد ويزعم فيه أنه نبى مرسل ؟

ثم يبلغ أيضاً من أمره عند ما أخذ فى وصف الخمر أن يقول فيها هذا القول :

كلُّ شىء من الدماءِ حرامٌ   شُربُهُ ما خلا دم العنقود

فأى نبى هذا الذى يحلل الحرام ويحرم الحلال ؟ وأى ضلال يحاربه وهو يدعو إلى هذا الضلال ؟

وقد جاء البيت الأول فى بعض الروايات :

يترشَّفن من فَمى رَشفاتٍ   هُنَّ فيـه حلاوةُ التوحيد

وهو فى هذه الرواية أخف فى الاستهتار من روايته الأولى وهى الرواية المشهورة

فلما جاوز فى قصيدته هذا كله ، ووصل الى مقصوده من الفخر بنفسه وشكوى حاله ، وحمل نفسه على تحمل الصعاب فى سبيل آماله ، كانت آماله أشياء أخرى دنيوية ، ولم تكن هى الآمال التى تنسب اليـه فى دعوى النبوة ؛ فليس لهذه الآمال ذكر هنا ، ولا تشتم لها فيه رائحة ، وإنمـا هو هنا رجل يسعى فى اكتسـاب المجد ، ويكد فى طلب الغنى والمـال ، ويشكو من اخفاقه فى هذا الطلب مع كثرة سعيه فيه :

ضاق صدرى وطال فى طلب الرِّزْ   قِ قيامى وقَلَّ عنه قعودى

أبداً أقطع البـــلاد ونجمى   فى نحوس وهمـتى فى سُعُود

وهو أبداً مولع بذلك الاستهتار حتى فى مقام الجـد ، فاذا أمر بطلب العز لا يفوته أن يقول إنه خير من الذل ولو كان فى جنة الخلد ، وأن يفضله ولو كان فى لظى على الذل

فاطلب العزَّ فى لَظى وذَرِ الذ   لَّ ولو كانَ فى جنان الخلود

فمثل هذا لا يصح أن يكون من شخص يدعى النبوة ، ويدعو الناس الى العمل الذى يوصلهم الى نعيم الله فى الجنة . ولا فرق بينه فى هـذا وبين ذلك الشاعر الجاهلى الذى سبقه الى ذلك المعنى ، وكان له من جاهليته ما يهون من أمره فيـه ، وهو ذلك الشاعر الذى يقول :

حكم سيوفك فى رقاب العذل   وإذا نزلتَ بدار ذلٍّ فارحل

دار النعيم بذلةٍ كجهنمٍ   وجهنم بالعز أكرم منزلِ

وكذلك هذا الفخر لا يليق بمن يدعى النبوة :

إن أكن معجباً فَعُجبُ عَجيب   لم يجد فوق نفسه من مزيد

أنا تِربُ النَّدى وَربُّ القوافى   وسِمامُ العدى وغيظ الحسود

وهكذا نخرج من دراسة هذه القصيدة بيقين لا شك فيه ، أنها لا تتفق مع تلك النبوة المزعومة للمتنبى ، فاما أن تكون هذه القصيدة مختلقة عليه ، وإما أن تكون تلك النبوة مكذوبة . وإذا كانت هذه القصيدة للمتنبى باتفاق الفريقين المختلفين فى أمر نبوته ، فان تلك النبوة تكون هى المكذوبة قطعاً

***

وهذه قصيدة ثانية للمتنبي، قالها في ذلك العهد الذي ينسب إليه فيه إدعاء النبوة :

ضيفٌ ألمّ برأسي غير محتشم ... والسيفُ أحسن فعلاً منه باللمم
ابعِدْ بعدتَ بياضاً لا بياض له ... لأنت أسودُ في عيني من الظلم
بحبّ قاتلتي والشيب تغذيتي ... هواي طفلاً وشيبي بالغ الحلم
فما أمرّ برسم لا أسائله ... ولا بذات خمار لا تُريق دمي
تنفّست عن وفاءٍ غير منصدع ... يوم الرّحيل وشعب غير ملتئم
قبلتها ودموعي مزجُ أدمعها ... وقبلتني على خوف فماً لفم
فذقت ماء حياةٍ من مُقبّلها ... لو صاب ترباً لأحيا سالف الأمم
ترنو إليّ بعين الظبي مُجهشةً ... وتمسح الطّلّ فوق الورد بالعنم
رُويدَ حكمك فينا غير منصفةٍ ... بالناس كلّهم أفديك من حكم
أبديتِ مثل الذي أبديتُ من جزعٍ ... ولم تجنى الذي أجننتُ من ألم
إذن لبزّكِ ثوبَ الحسن أصغرهُ ... وصرتِ مثلي في ثوبين من سقم
ليس التعلّلُ بالآمال من أربي ... ولا القناعةُ بالإقلال من شيمي
ولا أظن بنات الدهر تتركني ... حتى تسدّ عليها طُرقها هممي
لُم الليالي التي أخنت على جدّتي ... برقة الحال واعذرني ولا تلم
أرى أناساً ومحصولي على غنم ... وذكر جودٍ ومحصولي على الكلم
وربّ مال فقيراً من مُروّته ... لم يُثر منها كما أثرى من العدم
سيصحب النصلُ مني مثل مضربه ... وينجلي خبري عن صمّة الصمم
لقد تصبرتُ حتى لاتَ مصطبر ... فالآن أقحم حتى لات مقتحم
لأتركنّ وجوهَ الخيل ساهمةً ... والحربُ أقوم من ساقٍ على قدم
والطعن يحرقُها والزجر يقلقها ... حتى كأنّ بها ضرباً من اللمم
قد كلّمتها العوالي فهي كالحةٌ ... كأنما الصّابُ معصوب على اللجم
بكل مُنصلتٍ ما زال مُنتظري ... حتى أدلت له من دولة الخدم
شيخٍ يرى الصلوات الخمس نافلةً ... ويستحل دمَ الحجاج في الحرم
تنسى البلادَ بروق الجوّ بارقتي ... وتكتفي بالدم الجاري عن الدّيم
ردِي حياضَ الرّدى يا نفس واتركي ... حياض خوف الردى للشاء والنّعم
إن لم أذرْكِ على الأرماح سائلةً ... فلا دعيت ابن أمّ المجد والكرم
أيملك الملكَ والأسياف ظامئةٌ ... والطير جائعة لحم على وضم
من لو رآني ماءً مات من ظمأٍ ... ولو مثُلتُ له في النوم لم ينم
ميعادُ كلّ رقيق الشفرتين غداً ... ومن عصا من ملوك العرب والعجم
فإن أجابوا فما قصدي بها لهم ... وإن تولّوا فما أرضى لها بهم

وقد افتتح المتنبي هذه القصيدة بذم الشيب الذي ظهر فيه قبل أوانه، فحل في رأسه ضيفاً ثقيلاً غير محتشم، وبدا بياضه في عينه أسود من الظلم، وقد اجتمع عليه بذلك أمران صارا له كالغذاء : حب مبكر في عهد الطفولة، وشيب مبكر في بلوغه الحلم. ولا شك أن من يتبرم بالشيب هذا التبرم لا تحدثه نفسه بادعاء النبوة وما يلزم لها من إظهار الصلاح والتقوى، والفرح بالشيب إذا أقبل، لأنه كما قال بعض الحكماء : زهرة الحنكة، وغرة الهدى، ومقدمة العفة، ولباس التقوى. وأين قول المتنبي في هذا من قول دعبل بن علي

أهلا وسهلا بالمشيب فأنه ... سِمة العفيف وحلية المتحرّج
ضيف ألمّ بمفرق فقريته ... رفض الغواية واقتصاد المنهج

فمثل هذا هو الذي كان يقوله المتنبي في الشيب لو صح ما ينسب اليه في دعوى النبوة، وهو الذي يتفق مع الغاية التي تنسب اليه فيها

ثم مضى المتنبي يتغزل على أسلوبه في قصيدته الأولى، يسأل كل رسم، ويجري في حب متنقل وراء كل ذات خمار، وهو حب شهوى كحب ابن أبي ربيعة وغيره من الشعراء الذين تستهويهم كل ذات جمال، ولا يعرفون في حبهم شيئاً من الوفاء، بل يتحدثون عن وفاء النساء لهن ولا يفون، كما تحدث المتنبي عن ذلك في قوله :

تنفست عن وفاء غير منصدع ... يوم الرحيل وشعب غير ملتئم

وقد يتفق لنبي أن يسمع هذا النوع من الغزل إذا كان بريئاً كما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم في سماعه قصيدة كعب بن زهير

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يُفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ... لا يشتكى قصر منها ولا طول
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول
إخالها خلة لو أنها صدقت ... موعودها أو لو ان الوعد مقبول
لكنها خلة قد سيط من دمها ... فجع وولع وإخلاف وتبديل

ولكن فرقا كبيرا بين سماع هذا النوع من الغزل وإنشائه، ورب شيء يقبل من شخص ولا يقبل من شخص أعلى منه،

ورب حسنات فى ذلك تعد سيئات ، ورب سيئات تعد حسنات .
ولا شك أن مثل هذا الغزل لا حرج فيه على كعب رضى الله عنه ، وقد سمعه النبى صلى الله عليه وسلم على هذا الاعتبار ، وإن لم يكن من شأنه هو أن ينشئه

ثم اقتضب المتنبى نسيبه اقتضابا ، وابتدأ مقصوده من قصيدته بقوله :

ليس التعلل بالآمال من أربى ولا القناعة بالاقلال من شيمى

فاذا هو فيه طالب دنيا لا أكثر ولا أقل ، وإذا به لا يرضى فى ذلك بالقليل ، وينفر من صفة القناعة التى حث عليها جميع الأنبياء قبله

وهو فى ذلك أيضا ثائر على دهره الذى يفقر مثله على مروءته وشجاعته ، ويغنى سواه على فقره من المروءة والشجاعة ؛ ثائر على تلك الدول التى أقامها فى عصره خدم العباسيين الذين كانوا يجلبونهم أرقاء فيصبحون ملوكا على الناس ، فهو يقيم الدنيا ويقعدها من أجل تلك المهازل فى نظره ، ويرى نفسه أعلى شأنا من هؤلاء الخدم ، وأحق منهم بهذا الملك الذى استأثروا به لأنفسهم

وهو هنا لا يتحدث عن عدل وجور كما يتحدث فيما ينسب فى دعوى نبوته ، بل يتعطش إلى الحرب والقتال كما يتعطش كل فارس جبار يعشق سفك الدماء ونشر الفساد فى الأرض

ولا يتحدث كذلك عن إيمان وكفر ، بل يتحدث عن خدم أقاموا لهم ملكا هو أحق به منهم لما امتاز به من المروءة والشجاعة عليهم

ثم تراه لا يقلع فى هذه القصيدة عن استهتاره ، وأخذه فيما يدل على ضعف دينه ، فيقول

بكل مُنصلتٍ مازال مُنتظرى حتى أدلت له من دولة الخدم
شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج فى الحرم

فالذى يقول هذا لا يمكن أن يأخذ وسيلته إلى الناس دعوى النبوة ، لأنها تقتضى منه شيئاً آخر غير هذا الاستهتار ، وتواضعاً فى القول غير هذا التجبر ، واقتصادا فى الحديث عن النفس غير هذ الاسراف فى الفخر

وسبيل هذه القصيدة بعد هذا سبيل القصيدة السابقة فى القطع بكذب هذه الدعوى على المتنبى ، لأنها تظهره فى ذلك العهد بخلاف المظهر الذى يظهر به فيما ينسب إليه فى دعوى النبوة وادعاء مثل هذه الدعوى من المتنبى فى علمه وذكائه تقتضى منه الحيطة فى أمره ، وتوجب عليه ألا يظهر بين الناس بهذا المظهر فى شعره ، حتى يصدقه الناس فى دعواه ، ويلتئم حاله فيها التئاما يخدعهم فيه

ويجب علينا بعد هذا أن نأخذ فى هذا اللقب بما نقله ابن جنى عن المتنبى نفسه ، وقد ذكرناه فيما سبق ، فلا نعيده هنا ، ولكنا نذكر فى ذلك مذهباً للأستاذ « محمود شاكر » رأى أنه أقرب إلى الصدق ، وأولى بالاعتبار ، وهو أن المتنبى نبز هذا النبز من أجل أنه كان فى أول أمره متورعا فى خلقه لا يخرج عن حدود الوقار ، متزمتاً لا يلين للشهوات ولا يلقى إليها مقاده مترفعاً عن سفساف الأخلاق متمسكا بمعاليها ، آخذا نفسه بالجد الذى لا يفتر ؛ وكان لا يقرب التهم ولا يدانيها ، فما كذب ولا زنا ولا لاط ، ولا أتى أمراً منكرا يؤخذ عليه ، أو يُزَنُّ به . واستمر على ذلك حياته كلها ، وخالف الأدباء والشعراء من أهل عصره فما شرب الخمر ولا حمل وزرها ، ولولا اضطراره فيما نرى لما حضر مجلسها . وكان الأدباء والشعراء فى ذلك الوقت أهل شراب ومعاقرة ولهو وهزل وباطل ، فلما وجدوا ما هو فيه من التعفف والتورع ، ووقعوا على كثرة دوران أسماء الأنبياء فى شعره ، وتشبيهه نفسه بهم ، نبزوه هذا النبز ، ولقبوه المتنبى يريدون المتشبه بالأنبياء

ولا شك أن هذا غلو من الأستاذ فى أمر المتنبى ، وقد روى عن بعضهم أنه عاشره فما رآه كذب ولا زنا ولا لاط ، ولكن هذا لا يكفى لأن يجعل منه الرجل الصالح الزاهد المتورع الذى يصفه الأستاذ محمود . على أن هذا الاشتقاق لا يدل على التشبه وإنما يدل على الادعاء ، وقد جاء فى القاموس (وتنبأ ادعى النبوة ومنه المتنبىء أحمد بن الحسين) وإنما يقال فى ذلك تأله ، لأن التأله التنسك والتعبد ، ولم يلصق هذا اللقب بالمتنبى إلا لأجل الكيد به ، وإيهام أنه ادعى النبوة ، ولهذا كان يكرهه المتنبى . ولو كان لهذه الأغراض المذكورة لفرح به وهش له ، والخطب فى هذا سهل بينى وبين صديقى الأستاذ محمود شاكر ، بعد اتفاقنا على أن هذه النبوة مختلقة على المتنبى ؛ وإنى لا أحب أن أثير فى هذا جدالاً بينى وبينه ؛ ولعله يتغاضى عن هذا الخلاف القليل بيننا ، ليكون ما ذكرناه هو القول الفصل فى هذا الموضوع حقا

عبد المتعال الصعيدى

تاريخ العـــرب الأدبى

للأستاذ رينولد نيكلسون

الفصـــل الأول

— ٥ —

وإن نفس عاطفة الوطنية المتأججة فى صدر الهمدانى والتى بعثته على أن يخصص نفسه للبحث العلمى قد أوحت إلى نشوان ابن سعيد — الذى ينتمى من ناحية الأب إلى أسرة قديمة من أشراف اليمن — أن يتذكر الماضى الخرافىّ ويتعلق بأحياء مجد أمبراطورية زالت معالمها ودرست آثارها . وإنه ليتغنى فى « القصيدة الحميرية » بعظمة وقوة أولئك الحكام الذين تبوأوا عرش أمته ، ويؤوّل فى روح إسلامية حقة حقيقية الفناء والحياة ، وحقارة المطامع البشرية[1] ، ومع أن هـذه القصيدة فى ذاتها قليلة القيمة فانها تعتبر وثيقة قيمة — نوعاً مّا — لاشتمالها على أسماء الملوك[2] ، ومعها شرح تاريخى واف إمّا أن يكون كاتبه نشوان نفسه — وهذا ما يرجحه فون كريمر — أو أحد معاصريه . والذين لا يرون التاريخ إلا مجمل حقائق لن يجدوا مأربهم فى هذا التعليق ، إذ ترى خيوط الحقيقة معقّدة متشابكة مع أساطير خرافية مكذوبة ، وقد وضع القصّاصون فى فجر الاسلام صورة حرفية لمثل هـذه الأساطير ، من ذلك أن أحد عرب الجنوب واسمه « عبيد بن شرية » زار دمشق تلبية لدعوة الخليفة معاوية بن أبى سفيان الذى سأله « عن الأخبار المتقدمة ، وملوك العرب والعجم ، وسبب تبلبل الألسنة وأمر افتراق الناس فى البلاد[3] » وطلب اليـه أن يكتب وأمر أن تجمع وتكتب إجاباته كلها ثم تنشر باسمه ، وهذا العمل الذى

(١) Die Hinjarisdhe Kasidsh herausgegaben und übers-etzt von Alfred von Kremer (Leipzig, 1865) . W. F. Lrideaux: The Lay of the Himyarites (Sshose, 1879)

(٢) كان نشوان عالما لغويا شهيرا ، وإن قاموسه الكبير « شمس العلوم » لخير عون لمن يدرسون آثار عرب الجنوب ، وقد اعتمد عليه D. H. Müller فى تصحيح أسماء الأعلام التى وردت فى « القصيدة الحميرية » وقد قام الدكتور عزم الدين أحمد بطبع مقتطفات من « شمس العلوم » تتعلق باللغة العربية الجنوبية (E. S. W. Gibb Memorial Serie, vol. xyiv.)

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٨٩ س ٢٦

لم تصلنا منه أية نسخة للأسف كان يسمى « كتاب الملوك وأخبار الماضين » وقد تكلم عنه المسعودى[1] (٩٥٦ م) ككتاب معروف متداول فى محيط كبير ، كما اعتمد عليه فيما بعد شارح « القصيدة الحميرية » إما مباشرة أو بواسطة الاكليل للهمدانى . وقد نعتبره — كما اعتبره الشارح نفسه — كقصة تاريخية لكثير من شخصياتها وحوادثها أساس من الحقيقة والواقع قد مُوّهت بكثير من القصص الخيالية والقصائد المكذوبة ، مما يجد فيها السّامر خير عون له على أداء مهمته . ومن بين المؤلفين المسلمين القلائل الذين اهتموا بدراسة تاريخ عرب الجنوب فى العصر السابق للاسلام حمزة الأصفهانى ، وعدّنا الكتاب الثامن من تاريخه (الذى انتهى منه عام ٩٦١ م) بتفاصيل تاريخية دقيقة موجزة عن التبابعة أو ملوك اليمن الحميريين

* * *

خلف قحطان — جدّ أعراب الجنوب — ابنه يعربُ الذى يقال إنه أول من اتخذ العربية لسانا ، وأول من أخذت له التحايا التى اعتاد العرب أن يحيوا بها ملوكهم كقولهم « أنعم صباحا » و « أبيْت اللعن » وقد اشتهر حفيده عبد شمس سبأ باسم مؤسس مأرب وبانى سدها المشهور ، وإن كان هناك آخرون يقولون إن مؤسسه هو لقمان بن عاد ، وكان لسبأ ولدان حمير وكهلان ، وقبل موته عهد إلى حمير بالجلوس على العرش وإلى كهلان بحراسة التخوم ، وشنّ الغارات على الأعداء ؛ ومن ثم كانت لحمير السيادة واتخذ اسم « أبو أيمن » وأقام فى عاصمة المملكة بينما تعهّد كهلان بالدفاع عنها وتدبير الحروب[2] وبالاغضاء عن سرد سلسلة نسب الملوك السبئيين الخرافيين الذين لا تذكر القصة عنهم إلا قليلاً جدا ، فانا نمضى إلى ذكر حادثة رسخت فى أذهان العرب رسوخاً لا يمكن استئصاله منها ، ألا وهى الحادثة المعروفة عندهم بسيل العرم أو فيضان السدّ

(١) ومما قاله المسعودى « ولم يصح عند كثير من أهل الدراية بأخبار الماضين وسير الغابرين من العرب وغيرهم من المتقدمين فيها إلا خبر عبيد بن شرية وأخباره عما سلف من الأيام وما كان فيها من الكوائن والأحداث وتشعب الأنساب ، وكتاب عبيد بن شرية فى يد الناس مشهور » راجع « مروج الذهب طبعة باريه دى ميناردج ٤ ص ٨٩ » (المترجم)

(٢) Von Kremer : Die Tüdarabische Sage, P. 56

ومن الممكن أن تكون هذه القصة (كما يرى كريمر ص ١١٥) رمزاً لحقيقة ثابتة تلك هى تشعب السبأيين الى فريقين كبيرين : حمير وكهلان وقد كانت القوة فى يد الأول

على بضعة أميال قلائل من الجنوب الغربي لمأرب تمتد الجبال متلاحمة تاركة فيما بينها أخدوداً يشقه نهر « أدنة » الذي يجف غالباً مجراه خلال فصل الصيف ؛ أما في الشتاء فتسقط الأمطار الغزيرة وتتدفق المياه بقوة هائلة تكاد لا تحتمل ، فلكي تكون المدينة بمنجاة من الفيضان ولأجل تنظيم الري وزرع الأرض وفلحها بنى الأهالي سداً من الحجر الصلد استرعى خيال محمد بعد أن دمر تماماً ، وعده المسلمون إحدى عجائب الدنيا[1] . وليس بغريب أن ألبس مؤرخوهم تلك الحقيقة المجردة (انفجار السد) ثوب حادثة فضفاضة طريفة[2] وإذ آذنت شمس القرن الثالث للميلاد بالمغيب[3] أو قبل ذلك بقليل كان يتربع على عرش مأرب عمرو بن عامر ماء السماء المزيقيا[4] ، وكانت زوجته « طريفة » ماهرة في علم الكهانة خبيرة بفنونها ، وقد رأت أحلاما ورؤى تنبيء عن شر جسيم يتهددهم ، وفي ذات يوم قالت لزوجها الذي لم يكن يثق في عرافتها : « إمض إلى السد فإن أبصرت فأراً[5] ينبش السد بمخالبه ويقذف قطعاً كبيرة من الصخور بقدميه الخلفيتين فتيقنْ بأن العذاب قد حلّ بنا » فمضى عمرو إلى السد

(١) لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل) « ٣٤ : ١٥ — ١٦ من القرآن » أما الخرائب الباقية فقد وصفها Arnaud في الجريدة الأسيوية المجموعة السابقة ٢٢ (١٨٧٤) ص٣ ومابعدها

(٢) راجع مروج الذهب (طبعة باريه دي مينارد) ج ٣ ص ٣٨٧ وما يليها والنويري Pimoe lineoe Rerum Arab icarum ص١٦٦ وما يليها

(٣) ربما كان لقصة الهجرة من مأرب — التي ذكرت — أساس تاريخي ولكن السد نفسه لم يتهدم كله إلا بعد دهر طويل ، وإن النقوش التي عثر عليها منحوتة في الصخور الباقية منه ليستدل منها على أنه ظل قائما حتى منتصف القرن السادس الميلادي وإن أول فيضان معروف قد وقع بين عامي ٤٤٧ — ٤٥٠ م كما أعاد بناء بعض أجزاء السد « ابرهة الحبشي » والي اليمن بين ٥٣٩ — ٥٤٢ م . راجع ذلك في « كتابات في انفجار سد مأرب لجلاسير »

E. Olaser: Zuli Inachaiften ueber den Dammbruch von Mârip (Mitteilnngen der Vorderasiatischen Gesellschaft. 1697,)

(٤) يقول الأستاذ نيكلسون إنه كان من عادة عمرو بن عامر أن يمزق ثوب نهاره كلما جن المساء . أما صاحب كتاب « التيجان في ملوك حمير » فيقول « سمى مزيقيا لأنه كانت تنسج له في كل سنة ثلثمائة وستون حلة ثم يأذن الناس في الدخول فإذا أرادوا الخروج استلبت عنه وتمزق قطعا ولذلك سمى مزيقيا » ص ٣٦٢ طبعة حيدرأباد الدكن سنة ١٣٤٧ هـ (المترجم)

(٥) وقد قال في ذلك أحد الشعراء :

وقد هد الدماعرش بلقيس هدهد وخرب حفر الفأر سداً لمأرب

(المترجم)

وأنعم النظر فشاهد جرذاً يحرك حجراً كبيراً يعجز خمسون رجلاً جلدا عن نقله من مكانه فأيقن عمرو أن السد منهار ، وأن الأرض لابد هالكة عن عليها ، فعزم على بيع أملاكه والرحيل بعائلته ، لكنه خشي أن يبعث الاضطراب إلى قلوب السكان ، فدبر حيلة ناجحة ، ذلك أنه دعا أشراف المدينة ورؤوسها إلى وليمة فاخرة مدها لهم ، واتفق مع ابنه أن يثيرا الخلاف بينهما (أو بينه وبين اليتيم الذي درج في بيته كما يقول آخرون) وتبودلت بينهما الضربات فصاح عمرو : « وافضيحتاه !! أفي يوم مجدي وفخري يسبني ويلطمني غلام عاق ؟ » ثم أقسم أن يقتل الفتى ، فتوسّل إليه ضيوفه أن يرحمه ويرأف به فأجابهم ، بيد أنه أقسم قائلاً : « لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدي وسأبيع أرضي ومتاعي » وإذ نجح في الخلاص من أعبائه — إذ لم يعدم مشترين لبوا دعوته واغتنموا غضبته — لم يتردد في أن يخبر الناس عما يتهددهم من بلاء ثم بارح مأرب على رأس جمع حشيد ، ثم أخذت المياه تثقب السد شيئاً فشيئاً وتغمر الأرض ، مرسلة في لجتها الدمار طولاً وعرضاً ، ومن هنا نشأ المثل القائل « تفرقوا أيدي سبأ » أي تشتتوا كما تشتت قوم سبأ[1]

وإن ذلك الطوفان ليؤرخ فترة من تاريخ بلاد العرب الجنوبية ثم غاضت المياه واخضرت الأرض بعد المحال وعادت إلى الاينناع والزرع ، بيد أن مأرب ظلت مهجورة ، واختفى السبئيون إلى الأبد إلا ما يذكره الأعشى في قصيدة له من قوله[2]

وفي ذاكَ للمُؤتسي أُسْوةٌ   ومأربُ عَفَّى عليها العرِمْ
رخامٌ بَنتْهُ لهم حِمْيَرٌ   إذا جاء مَوّارُه[3] لم يَرِمْ
فأرْوَى الزُّروعَ وأعنابَها[4]   على سَعَةٍ ماؤُها إذ قُسِمْ
فصاروا أيادِيَ ما يَقْدِرونَ   منهُ على شُرْبِ طفلٍ فُطِمْ

وليست في كلام الشاعر عن حمير دقة تاريخية ، أما الحميريون وعاصمتهم ظفار (صنعاء فيما بعد) فقد صاروا حكام اليمن بعد

(١) Freytag: Arabum Proverbia, Vol I, P. 497
وترجمه هكذا
Abiesunt tanquam agmina Sabaeorum; et dispersi sunt tanquam agmina Sabaeorum

(٢) الهمداني : الأكليل الكتاب الثامن طبعة ميلر في S.B.W.A, في فينا ١٨٨١ ج٩٧ ص١٠٣٧ ، وقد نقل هذه الأبيات ياقوت الحموي في شيء من التغيير في معجمه (طبعة وستنفلد) ج ٤ ص٣٨٧ وابن هشام ص٩

(٣) بفتح الميم وبعضهم يرويه بالضم والفتح أصح مأخوذ من قوله تعالى « يوم تمور السماء مورا »

(٤) قوله « فأروى الزروع وأعنابها » أي أعناب تلك البلاد (ابن هشام)

انفجار سد مأرب وتلاشي السبئيين الذين أقاموه (١)

أما تبع الأول — الذى أطلق لقبه مؤرخو المسلمين على من خلفه من ملوك حمير فيسمى « حارث الرائش » لأنه زين بيوت قومه بالغنائم والأسلاب مما جلبه معه — كغنائم — من الهند وأزربيجان (٢) ، أما عن التبابعة الذين ولوا الحكم بعده فان بعضهم يدين بدرجه فى سلسلة حمير إلى النسابين الذين كان احترامهم للقرآن يفوق دقتهم النقدية كما حدث مثل هذا بشأن المخلوق الخرافى صعب ذى القرنين ، وإن الأبيات التالية لتخلط بينه وبين ذى القرنين العجيب الوارد نبؤه فى القرآن والذى يعتبره معظم المفسرين نفس الأسكندر الأكبر (٣)

لنا مُلك ذى القرْنين هلْ نالَ مُلكَهُ
من البشرِ المخلوقِ خلقٌ مُصورُ ؟
نوى ثمَّ يتلو الشمسَ عند غرُوبها
لينظُرَها فى عينِها حينَ تُدْحرُ
ويسمُو إليها حين تطلع غُدْوَةً ليلحقها رُجها حينَ تظهرُ
دليلاً بأسبابِ السماءِ نهاره (٤) وليلاً رقيباً دائماً ليسَ يفترُ
وأرْصدَ سدًّا من حديدٍ إذا بدا ومن عينِ قطرٍ مترعاً ليسَ يظهرُ
رَمى فيهِ يأجوجاً ومأجوجَ عنْوةً
إلى يوْمَ تُدْعى للحساب وتُنشرُ (١)

(يتبع) ترجمة حسن حبشى

(١) وقد وجد الوصف التالى محفورا على حجر من القراميد الصخرية التى وصفها أرنود فى الجريدة الأسيوية بثمرين (بتشديد الياء وكسرها) ابن سمه على ينوف أمير سبأ قد نقب جبل البلق وبنى السدود (وتسمى رحب) لتنظيم الرى وميللر (المرجع السابق ص ٩٦٥)

(٢) لم ترد بتاتا كلتا « حمير وتبع » فى النقوش القديمة ، أما فى الحديثة فلم ترد إلا قليلا جدا

(٣) يقصد ما جاء فى سورة الكهف (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ، إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا فأتبع سببا ، حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا ، قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا ، وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ، ثم أتبع سببا ، حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ، ثم أتبع سببا ، حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولا ، قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ؟ قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ، آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا ، حتى إذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا ، فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا) (المترجم)

(٤) وصف الهمدانى فى كتابه جزيرة العرب (ص ٣٦ س ١٠) ذا القرنين بأنه « مساح الأرض » وإذ نترك مجال التاريخ الأدبى لحظة لأشرح الخرافة التى تتسرب من خلال هذه الأبيات ، فيظهر لى أن « ذا القرنين » إنما يقصد به الآلهة السبئية « عثتر » التى تمثل « نجمة الصباح الجميلة » (راجع ما كتبه D. H. Muller فى S. B, W. A. مجلد ٩٧ ص ٩٣٧ وما يليها) ونجد فى النقوش المينية « عثتر الجالسة وعثتر الواقفة » (شرحه ص ١٠٣٣) أضف الى ذلك أن عثتر والمقه يذكران فى أقدم النقوش دائما مقرونين بعضهما ببعض . أما « المقه » (وهى فينوس أو الزهرة كما يذكر الهمدانى) فيعتبرها علماء الآثار القديمة من العرب بلقيس ، أما عن « قرن » بمعنى « أشعة أو ضوء » فراجع ج ١ ص ١١٤ من كتاب جولدزيهر Abhand - zur Arab. Philologie ولا يحوم كثير من الشك فى إضافة اسمى « ذى القرنين وبلقيس » إلى الأمثلة العدة لهذا التغير الذى بواسطته استطاعت كثير من آلهة الوثنية أن تظل قائمة فى ظل الاسلام بعد أن تنكرت بأسماء مختلفة

(١) Von Kremer Altarabis-che Gedichte ucber qei Vol- kssage von Jemen P. 15 (No. viii, 6 seg)
وهذه الأبيات لحسان بن ثابت شاعر الرسول

المآسى التاريخية الكبرى

بقلم الأستاذ حسن الشريف

هذا كتاب يجمل بكل شرقى أن يقرأه وأن يطيل فيه التفكير فان كل فصل من فصوله الأربعة والعشرين يحتوى درساً بليغاً يحدثنا أننا لم نعرف من مدنية أوروبا سوى مظاهرها الزاهية وألوانها البراقة ، وأننا نجهل ما وراء هذه المظاهر والألوان من فضائح يثور لهولها الضمير البشرى ويندى من عارها جبين التاريخ . نعم ليقرأ الشرقيون هذا الكتاب ليتعلموا منه كيف يعتزون بمدنية أسلافهم إذا هى وضعت فى ميزان الحقائق إلى جانب مدنية الغربيين ، فأن تلك المآسى التاريخية الكبرى مرآة صادقة تتجلى فيها مقابح أزهى العصور فى تاريخ أوروبا ومخازى أعظم الملوك وأفخم الأسماء فى تلك العصور . وهى فوق ذلك تحفة أدبية نفيسة تمتاز برشاقة الأسلوب ورقة التصوير فلا غنية عنها للمدرس ولا للطالب ولا للأديب

أطلبوا هذا الكتاب الممتع من مكتبات القاهرة المعروفة ومن مكتبة فيكتوريا بالاسكندرية بشارع سعد زغلول وثمنه ١٥ قرشا صاغا

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

— ٣ —

— ٧ —

وأمسى المساء مرخياً سدوله على الساحة فتفرق عنها المتفرجون وقد أرهقهم الفضول والرعب ، وبقي زارا جالساً على الأرض قرب الميت فاستغرق في تفكيره ناسياً مرور الزمان حتى هبت نفحات الليل عليه منفرداً ، فناجى نفسه قائلاً :

لقد كان صيدك موفقاً اليوم يا زارا ! لقد أفلت الناس منك فاصطدت جثة هامدة

إن حياة الانسان محفوفة بالأخطار ، وهي فوق ذلك لا معنى لها ... فأن مهرجا يمكن أن يقضي عليها

أريد أن أعلم الناس معنى وجودهم ليدركوا أن الانسان الكامل إنما هو البرق الساطع من الغيوم السوداء من الأنسان

ولكنني لم أزل بعيداً عن هؤلاء الناس وفكرتي بعيدة عن مداركهم ، فأنا لم أزل متوسطاً المدى بين مجنون وجثة هامدة

إن الليل مظلم ومسالك زارا مظلمة أيضاً . تعال أيها الرفيق المتيبس في حقيبته ! إنني ذاهب بك إلى حيث أواريك التراب بيدي

— ٨ —

ورفع زارا الجثة على كاهله ومشى ، ولكنه ما قطع مائة خطوة حتى زحمه رجل ؛ وما كان هذا الرجل إلا مهرج البرج ، فأمر اليه في أذنه :

— اذهب من هذه المدينة يا زارا فانك مبغضيك فيها كثيرون . هنا يكرهك أهل الصلاح والعدل ، فيصفونك بالعدو والمزدري ، ويكرهك المؤمنون بالدين الحق فيرون بك خطراً على عامة الناس ، وقد كان من حظك أن هزأ الحشد بك لأنك كنت تتكلم كالمهرجين ، وكان من حظك أيضاً أن اشتركت والكلب الميت ، فقد كان خلاصك هذه المرة في إسفافك إلى هذه المهاوي ، ولكنك لن تسلم في الثانية فاذهب من هذه المدينة وإلا فانني قافز غدا فوق جثة أخرى

قال الرجل هذا وتوارى وتابع زارا سيره في الشوارع المظلمة . ولما بلغ باب المدينة التي حُفّار القبور فوجهوا إلى رأسه أشعة مصابيحهم وإذ عرفوا فيه زارا أشبعوه سخرية وهزءا وقالوا :

— مرحى يا زارا ! لقد صرت الآن حفاراً للقبور ؛ إنك تحمل الكلب الميت . لقد أحسنت ، فان أيدينا أطهر من أن تدنس بجثته . أتريد يازارا أن تختلس من الشيطان طعامه ؟ كل هنيئاً ! ولكن الشيطان أمهر منك ، ولعله يسرقكما كليكما فيلتهمكما التهاما

ودار حفار القبور بزارا يتفرسون فيه . أما هو فلزم الصمت وسار في طريقه . وبعد أن مشى ساعتين يقطع الأحراج والمستنقعات ، شعر بالجوع لكثرة ما عوت حوله الذئاب الجائعة ، فوقف أمام بيت منفرد لاحت له الأنوار من نوافذه . وقال : لقد عضني الجوع وداهمني كاللص بين الأحراج في الليل البهيم

إن لجوعي نزوات مستغربة وقد يداهمني حتى بعد الطعام ، ولكنه اليوم ندّ عني منذ الصباح حتى المساء فأين كان هذا الجوع ؟

وطرق زارا باب البيت فظهر له منه شيخ يحمل مشعلاً ، وقال له : من الآتي إليّ وإلى رقادي المضطرب ؟

فأجاب زارا : أتيتك اثنين حيّ وميت ، أعطني ما كلاً ومشرباً فقد نسيت الغذاء النهار بطوله ، إن من يشبع الجياع يولي نفسه قوة ، هكذا قالت الحكمة

فذاب الشيخ وعاد بخبز وخمر وقال :

— إنها لأماكن موحشة للجياع ، وذلك ما دعاني إلى السكن هنا حيث يهرع إليّ البشر والحيوان في وحدتي . أفلا تدعو رفيقك ليأكل ويشرب معك فهو أشد تعباً منك

فقال زارا : إن رفيقي ميت ولا يسهل عليّ اقناعه بتناول الطعام .

فتمتم الشيخ : ذلك لا يهمني ؛ إن من يطرق بابي عليه أن يأخذ ما أقدمه له . كلوا هنيئاً

وعاد زارا إلى السير فمشى ساعتين أيضاً وهو يهتدي إلى رسوم الطريق بنور النجوم ، وقد كان معتاداً السرى ويحب أن يتفرس في كل شيء راقه . وعند ما لاح الصباح كان زارا وصل

إلى غابة كثيفة حيث انقطع كل طريق أمامه ، فتوقف ووضع الجثة فى فراغ شجرة حواها حتى رأسها ليقيها هجمات الذئاب ، ورقد بعد ذلك متوسداً نبات الأرض وما عتم حتى استغرق فى نومه منهوك الجسم مرتاح الضمير

— ٩ —

وطال نوم زارا حتى غمرت وجهه أنوار الضحى بعد أن داعبته تباشير الفجر ففتح عينيه مبهوتاً وسرح أبصاره على الغاب ثم حولها يستكشف نفسه ساكناً مستغرباً

وهبّ من مجلسه فجأة كما يهبّ اللاح تبدو لعينه الأرض ، فهتف وقد هزّه المرح لأنه اكتشف حقيقة جديدة فخاطب قلبه قائلاً

لقد انفتحت عيناى . إننى بحاجة إلى رفاق أحياء لا إلى رفاق أموات وجثث أحلهم إلى حيث أريد

إننى أطلب رفاقاً أحياء ليتبعونى لأنهم يريدون أن يتبعوا أنفسهم أينما توجهت

لقد انفتحت عيناى ، ليس على زارا أن يخاطب جماعات بل عليه أن يخاطب رفاقا ، يجب ألا يكون زارا راعياً للقطيع وكلباً له

إننى ما جئت إلا لأخلص خرافاً عديدة من القطيع ، وسوف يتمرد الشعب والقطيع علىّ . إن زارا يريد أن يعامله الرعاة معاملتهم للصوص

قلت رعاة غير أنهم يدعون بالصالحين والعادلين . قلت رعاة غير أنهم يدعون بالمؤمنين بالدين الحق

أنظروا إلى أهل الصلاح والعدل لتعلموا من هو ألدّ أعدائهم ، إنه من يحطم الألواح التى حفروا عليها سننهم ذلك هو الهدّام ذلك هو المجرم — غير أنه هو المبدع

أنظروا إلى المؤمنين بجميع المعتقدات تعلموا من هو ألد أعدائهم إنه من يحطم الألواح التى حفروا عليها سننهم ، ذلك هو الهدام ، ذلك هو المجرم غير أنه هو المبدع

إلىّ بالرفاق . إننى أطلبهم مبدعين ولا أطلبهم جثثاً وقطعاناً ومؤمنين

إن المبدع لا يتخذ له رفاقا إلا من كانوا مثله مبدعين ، إنه يتخذهم ممن يحفرون سنناً جديدة على ألواح جديدة

إن من يطلب المبدع إنما هم الحصّاد يعاونونه فى الحصاد لأن كل شىء قد أصبح فى عينه ناضجاً للحصاد ، ولكن المائة منجل ليست بين يديه فهو يتميز غضباً ويقتلع السنابل من أصولها

إن المبدع يطلب رفاقاً بين من يعرفون أن يشحذوا مناجلهم ، وسوف يدعوهم الناس هدّامين ومدمرين للخير والشر ، غير أنهم يكونون هم الحاصدين والمحتفلين بالعيد

إن زارا يطلب من كانوا مثله مبدعين يشاركونه فى الحصاد وفى الراحة فلا حاجة له بالقطعان والرعاة وأشلاء الأموات

وأنت يا رفيق الأول ، ارقد بسلام لقد أحسنت دفنك فى فراغ الشجرة ووقيتك افتراس الذئاب

غير أننى سأفترق عنك لأن الزمان قد مر سريعاً ، وقد انبثقت حقيقة جديدة فى أفق نفسى مابين فجرين

لن أكون راعياً ، ولن أكون حفار قبور ، ولسوف لا أقف بعد الآن فى الجماعات خطيباً فقد وجهت آخر لفظى إلى ميت

أريد أن أنضم إلى المبدعين ، إلى أولئك الذين يحصدون ويرتاحون فأديهم قوس قزح والمراتب التى يرقاها الواصلون إلى الأنسانية الكاملة

سأهتف بنشيدى للمنزلين ولمن يشعر بمثنويته فى انفراده أننى سأملأ بنبطتى قلب كل من له أذنان تصغيان إلى مالم تسمعه أذن بعد

إننى أسير إلى هدفى وأتبع طريقى فأقفز فوق المترددين والمتأخرين ، وهكذا سيكون سيرى جنوحا إلى الغروب

— ١٠ —

وكان زارا يناجى نفسه بهذا القول والشمس فى الهاجرة وإذا به يسمع صوتاً جارحاً فى الفضاء ولاح له نسر يعقد حلقات فى طيرانه وقد تعلقت به أفعى وما كان يقبض عليها بمخلبيه كفريسة ، بل كانت ملتفة حول عنقه التفاف المحب

فهتف زارا والحبور يملأ فؤاده : هذان نسرى وأفعاى ، فهو أشد الحيوانات افتخاراً ، وهى أشدها مكراً تحت الشمس ؛ وكلاهما ذاهبان مستكشفين فى الفضاء ليعلما ما إذا كان زارا لم يزل فى

الحياة، فهل أنا لم أزل حياً بعد؟

لقد اعترضنى من المخاطر بين الناس ما لم أجد مثله بين الحيوانات؛ إننى أتبع السبل الخطرة فلأقتدين بنسرى وأفعاى

وتذكر زارا حينئذ القديس المنعزل فى الغاب فتنهد وقال:

لأكونن أوفر؛ حكمة لأكونن ماكراً كأفعاى؛ غير أننى أطلب المستحيل لذلك أتوسل إلى افتخارى أن يلازم حكمتى ولا ينفصل عنها

وإذا ما تخلت حكمتى عنى يوماً وهى تتوق إلى الطيران وا أسفاه فانى أرجو أن يطير افتخارى مستصحباً جنونى

وهكذا بدا جنوح زارا إلى المغيب

(يتبع) فليكس فارس

على شواطئ البسفور

للأستاذ محمد بهجة الأثرى

هنا الدنيا هنا الدنيا ألا ما أحسن المَحيا
رُواء كفم الصّبح إذا افترّ عن الفجر
على الأفق، على الروض على البرّ، على البحر
كأن الأرض قد قامت على الرقصة والزمر
سرور أينما سرت وعرسٌ لم يزل يجرى
فيا عاشق دنياه ... هنا الدنيا، هنا الدنيا

***

صفاء الأفق كالبحر ولون البحر كالأفق
فمن يرنو إلى تحتٍ كمن يرنو إلى فوق
يشيم الأفق مطبوعاً على البحر بلا فرق
كأن البحر دون الأفـق أمسى مطلق الزرق
فيا عاشق دنياه ... هنا الدنيا، هنا الدنيا

***

رباع كجنان الخلـد لا حرّ ولا برد
حباها فى ضحى آب كما ينفحه الورد
فروض أرج العطر وجو غَنِجٌ سعد
أنيق الوشى كالجيد إذا زينه العقد
فيا عاشق دنياه ... هنا الدنيا، هنا الدنيا

***

بحار الفكر إن جال بما يشهد من حسن
فما يؤثر أو يهوى وما يبعد أو يدنى !
إذا أعجبه مرأى رأى أعجب فى الشأن
فلا ينفك مسحوراً كمأخوذ ابنة الدنّ
فيا عاشق دنياه ... هنا الدنيا، هنا الدنيا

***

شهدت الحسن مطبوعا كما أبصرت مصنوعا
ورمت الحب مبذولاً فما صادفت ممنوعا
وشمت الخلد مرئيا وكان الخلد مسموعا
وألفيت شتات الحسـن فى «البسفور» مجموعا
فيا عاشق دنياه ... هنا الدنيا، هنا الدنيا

***

حسان كعذارى الخلـد يمرحن زرافات
كأنّ آذار أبداهن فى الآفاق باقات
فهن الزهر فى الروض نشرن الحسن طاقات
وهن الزهر فى الأفق نزلن الأرض غادات
فيا عاشق دنياه ... هنا الدنيا، هنا الدنيا

***

كأن الدهر بالغادا ت كالأزهار نيسان
فهل غاب عن الخلد رقيب الخلد رضوان
نشاوى مثـل رائيهـن بالإعجاب نشوان
يمّمن ربوع الأنـس حيث الحب ألحان
فيا عاشق دنياه ... هنا الدنيا، هنا الدنيا

***

أغان وأغاريد لها يطرب محزون

بلحن الطير في الأيك ... يناغيهن قانون
تثير الروح بالشدو ... كما ينشر مدفون
تغنّيها الرياحين ... كما استضحك مفتون
فيا عاشق دنياه ... هنا الدنيا ، هنا الدنيا

* * *

لديها متعة السمع ... وفيها شهوة العين
تعالى الله ما أقد ... ر أن يجمع حسنين
وما أحسن أن تلتذ (م) باثنين ... شهيين
بريئين بلا إثم ... جميلين بلا شين
فيا عاشق دنياه ... هنا الدنيا ، هنا الدنيا

* * *

حيـاة لم ينغصها ... سوى ذكرى لأوطاني
أرى البسفور بساماً ... فأبكي ثغر « بغدان » .
نبا من أفقها الحسن ... ولم تنعم بعمران
كأن لم تك في الدهر ... جمال العالم الفاني
فيا شقوة «بغداد» ... إذا لم تشبه الدنيا !

(بغداد) محمد بهجة الأثري

في شعاع الفجر

مناجاة زهرة

بقلم أحمد فتحي مرسي

إيه يا زهرتي ! لقد أقبل الفجـ ... ـرُ يفيض الضياء من بسماته
والشعاع الحبيب قد فاض في القا ... ب فأحيا الدفين من أمنياته
والنسيم الرخيُّ يعبث بالغصـ ... ـن ويثني الندىَّ من زهراته
قد مضى يوقظ الزهور ويسرى ... طابعاً فوق ثغرها قبلاته
رقَّ حتى كأنه لمسة الطفـ ... ـل ومسُّ الرقيق من أنملاته
والفَراش الوديع يرتشف الضو ... ء ويروى صداه من لمحاته
يلتوى كالقطاة أخطأها الرا ... مى فراحت تحيد عن رمياته
والرياحين هامسات إلى المر ... ج كهمس الضمير في خلواته
قائمات على الربى ساجدات ... كسجود التقي في صلواته
كلُّ ما في الوجود يا ملكة الرو ... ض يشعُّ الجمال من قسماته

* * *

إيه يا زهرتي ! لقد أشرق الرو ... ضُ وسال الندى على وجناته
فارشفي النور من سنا الصبح رفا ... فا تلذ النفوس من رشفاته
وابسمي فالحياة حلم ويمضي ... ويفيق الفؤاد من سكراته

* * *

إيه يا زهرتي ! لقد صدح الطيـ ... ـر فهز الوجود من صدحاته
فأض في النفس لحنه فشجاها ... وأذاب الفؤاد من نغماته
فهبيه من وجهك الطلق وحيا ... يتملى من سحره أغنياته

* * *

إيه يا زهرتي ! لقد أسفر الكو ... ن وراق الجمال في جنباته
لم تبكين ؟ جفّفي ذلك الدمـ ... ـع وصوني عن البكا قطراته
لا يرُعك الزمان إن نثر الزهـ ... ـر وأفنى النضير من ورقاته
لا يرعك العذابُ إن ملأ الكو ... ن فكلٌّ معذب في حياته

(القاهرة) أحمد فتحي مرسي

قصة الكفاح بين روما وقرطاجنة

لتوفيق الطويل

أروع مأساة في تاريخ الانسانية بأسرها : أمة تفنى في ساحة الجهاد وتتوارى من التاريخ .

صدر في ٣٣٦ صفحة وثلاث خرائط وأربعين صورة

الثمن ١٢ قرشاً عدا أجرة البريد ويطلب من المؤلف بلجنة الجامعيين لنشر العلم ٢٢ شارع المناخ بمصر — ومن مكتبة النهضة أمام جريدة الأهرام ، والتجارية بشارع محمد على وغيرها من المكاتب الشهيرة

القصص

تذكرة ســـفر
من طنطا الى سقر

للأستاذ ابراهيم جلال بك
وكيل محكمة الزقازيق الأهلية

كان باحدى ضواحى مدينة طنطا قروى له فتيان أحدهما جميل المحيا ، مفتول العضل ، تام الرجولة ، كأبيه فى الاستقامة والدأب على حرث الحقل ورعاية الماشية واسمه حسن . أما الآخر وهو يونس فكان على نقيض أخيه ، خامل الذكر ، دائم التلهى بمعاكسة جيرانه ، يسد مسيل الماء عنهم ، ويسرق أمطار الذرة ، ويسلبهم دجاجهم وسائر ما يكنزون

وكان أبوهما مصطفى كهلاً أرمل ، ولكنه عرف بالنجدة وصلابة العود ، قد أخرجته الجندية متين البدن ، وأكسبته سكنى المروج الخضر حدة فى البصر

ومانت زوجته والغلامان فى الطفولة الأولى ، وكان قد ادخر بقية من نقود الجندية فابتاع بها حقلاً زرعه نصف فدان وأحسن القيام عليه حرثاً وإنباتاً ، وأقام تحت ظلال سفصافة عالية كوخاً صغيراً وسد به الحشائش الجافة وأضجع فيه طفليه واتخذ حوله سياجاً من قصب الذرة ، ومهّد فى ناحية من السياج مناخاً للدواب أسكن به شاة ذات أحمال وعنزات صغار . وكان الشيخ قد عرف بحسن الرماية وإحكامها من عهد أن كان فى مصاف الجيش ، ولديه قلائد الشرف حازها بحسن بلائه وبسالته فى فتوح السودان . وقد رآه أهل القرية غداة العيد يحمل تلك القلائد ويخطر فى الدرب عند باب العمدة كما شهد له العمدة بحسن السمت حين حياه مسلماً فى أدب الجند وسكينتهم ، وحين تناول قدح القهوة ثم انقلب إلى كوخه الصغير بين غلاميه وماشيته

وكان مصطفى قد اتخذ لنفسه محراباً للعبادة فى ظل تلك الشجرة ، فاذا انشق الغسق عن غرة الفجر قام إلى قناة الماء فاغتسل ثم جثا فى المحراب بقلب سليم ، وكان هذا حاله فى المواقيت الخمسة

فكان الله فى عونه حتى ترعرع الغلامان ، وجاوز حسن سن الخامسة عشرة ولحق به أخوه يونس ، وزكا الزرع ودر الضرع وسال النضار بكف الشيخ مسيل الماء فى حقله ، فلم تطغه أخلاف الرزق وسمة العيش ، وعكف على تثقيف ولديه فى مكتب القرية ، فحذق حسن فن الكتابة والحساب ؛ أما أخوه فكان غافل اللب ، ينسل من المكتب مع رفقة له فيتسكعون فى دروب القرية حتى خرج غراً جاهلاً لا يحسن شيئاً ، ولم تجد فيه نصائح أبيه الشيخ ، ولا نالت منه سياط التأديب ولا وجيفة القيد ؛ فكان يفر من الكوخ ويبيت ليله بالعراء . وكان حسن يتميز رحمة وحناناً بيونس ؛ وكم كان يتق بساعديه سياط أبيه ويقاسم أخاه بلاء التأديب

وطرقهم طارق بليل ، وكانت ليلة قرها زمهرير وريحها عاصف ، فهرت كلابهم بباب الكوخ ونهض الشيخ إلى غدارة له بالجدار عامرة بأسباب الموت . وكان حسن قد نما عوده ، واستقام كاهلاه كأحسن ما تقوم أبدان الرجال ، فتصدى لأبيه وتناول منه آلة الموت ، وخرج إلى الفناء وأبوه يرقبه بعينى صقر وبيده هراوة

ورأى حسن شبحا قد التقط حمارين من الخراف ، وتجاوز السياج بهما فانطلق فى أثره حتى حازاه ، وسدد اليه القذيفة ، ولكنه تعرف السارق فى عدوه ، ولمح من وميض الأفق تصاوير بدنه ، فألقى الغدارة ولحق به ؛ وصحت فراسته فقد كان أخاه يونس . وقال له حسن خل الخراف لئلا يلحق بنا أبوك فان بيده

المراوة . ورفض يونس صاخباً ؛ وتعاقد الاخوان بالأيدى ، وطعن قابيل هابيل وفر بالحراف . وجاء الشيخ يشتد وبيده آلة الموت التى رماها حسن ، وجثا بجانب الجريح وقال له : عجيب أمرك والله ! كيف تلق عنك سلاحك ثم تذهب الى اللص أعزل ؟ ومسح الشيخ مقلتيه وحدق فى شبح السارق ، ثم بسط الغدارة على تلك السواعد الخالدة وهم باطلاق القذيفة لولا أن قام اليه حسن وانكفأ على صدره ، فطاشت القذيفة ونجا يونس وخلف الخراف . وشفى الله الجريح ورده الى أبيه فلاحا كادحا زينة الغلمان حماة الفؤوس

واستبان الشيخ أن سارق الليل كان يونس

وجاء عيد الأضحى فنحر مصطفى كبشاً ، وجاد بأكثره على الأيامى من عجائز القرية وضعاف أهل السبيل ، ثم جلس مع ابنه حسن يأكلان شواء وثريداً

وقال الغلام لأبيه : يا أبت إنى راحل الى مصر غدا إن شاء الله ، فقد أنقصوا أجرة السفر كرامة لهذا العيد . فقال الشيخ يا بنى إنى لأجد فى سفرك هذا خفوقا بين أضالعى لا أدرى والله له علة ولا سببا

وانطوى النهار وجاء الغد ، فخرج الشيخ يشيع غلامه الى المدينة ، ودخلا المسجد الأحمدى ، وطافا حرمه مع الطائفين من أهل القرية ، وصلى الناس الظهيرة مهللين مكبرين ، ثم قاموا إلى المحطة ، أما مصطفى فأنه تناول جبين ابنه لثما وزفر أنفاساً محزونة ثم توارى

ورأى حسن فى غمار الناس أخاه يونس يرسف فى أطماره ويزوى مسكنة وفاقة ، وقد غارت عيناه بين غضون الشقاء والاغتراب

وتعانق الأخوان ، وناح يونس من كبد نادمة موجعة ، ونسى حسن جراحه السالفة وما فعل قابيل به وقال : « لا عليك يا أخى ! وابتاع تذكرتين وحمل الى أخيه قرصين من خبز السميذ »

واستقر الناس فى العربات فى حلل العيد وحولهم قدورهم وحلواهم ، وأخليت مساند القرية للشيوخ ، أما الولدان والرضع فركبوا كواهل الآباء وحجور الأمهات

وتوالى ولوج هذا الركب المنكود بأفنية العربات ، وامتد مصافهم الى السقف ، حتى لقد أسبلوا من أبدانهم سترا كثيفاً على النوافذ . وكرت العربات فى إثر القاطرة تنهب الأرض وركبها لاه يرى انطواء الحقول والضياع والقرى كالصحف المصورة بيد الطفل ينشرها ويطويها

وكان ذلك قدرا محتوما وإن كان مكتوما ، فنزل بالركب المسافر موت فات الذين نوعوا أسباب الموت ، وغاب بهم الحساب عن الذين يمدون على الأيام أنواع البلاء وألوان العذاب

ذلك أن سعيرا من وقود جهنم فار من موطىء الأقدام وجوف العربات كما فار الطوفان من أغوار مدينة نوح

وما كان الركب إلا أهل الفاقة والمسكنة عبيد الضائقة المالية قد ذهب رب الحقل بما أنبتوا من قطن وبر ، ومشت الحكومة عاشيتهم فى الخراج . ولو كانت العربات مفضية الى بعضها لسارع الناس بالنجاة من باب الى باب وخلفوا النار تأكل بعضها ، ولكنها يا للحسرة الفاجعة ، كانت عليهم موصدة فى عمد ممددة

وكشفت نوافذ العربة لمن يرجو النجاة وثبا ، فتقاطر كل مقبل على الموت ليختار أحد السبيلين الى الآخرة أيهما أهون عذابا . أغمرة الاحراق ، أم دق الأعناق ؟ ورأى أهل القرى والحقول ضرام النار فى أتونها المستمر ، وهالهم ضجيج الوقود البشرى ، وجن جنونهم لغفلة السائق واندفاعه بقاطراته كعجلات الرومان الأولى نيط بها الأسرى فى أغلالهم ، وحمل الموتى الى مدينة بنها ، وعرضوا فى فناء المستشفى وأسفف الذين بهم رمق

وصاح النعاة بأهل القرى فأقبل الشيخ الفانى مصطفى مخذول الساقين ، زائغ البصر ، لا يدرى ما كتب لولده حسن ؟ ودخل فناء المستشفى فى مشيخة من قريته ، فعرف الناس موتاهم وعلا النحيب من اليتيم والأرمل والثكلى . أما مصطفى فقد دلف إلى الاشلاء حبواً وكفكف بصره بدمع يحرق الأديم ، وأراد أن يرى بعينه مبلغ الكارثة من فؤاده

فلمح ولده العاق يونس قاعدا يبكى وحول ساعديه العصائب وعلى صدره اللفائف ، وقد نشر رداءه على جسد أخيه حسن يحاول أن يخفيه عن بصر الشيخ المفجوع ، ولكن الشيخ رأى بالبصيرة ما لم يره البصر !!

ابراهيم جمعول

البريد الأدبي

أوجين أونيل الفائز بجائزة نوبل للآداب

ذكرنا في العدد الماضي أن الأكاديمية السويدية قد منحت جائزة نوبل للطب والفسيولوجيا هذا العام إلى العلامة النمسوي الدكتور أوتو ليفي والعلامة الانكليزي السير هنري هالت ديل

والآن نذكر أنها منحت جائزة نوبل للآداب إلى الكاتب الأمريكي الشهير أوجين أونيل Eugene O'Neill

وأوجين أنيل هو أعظم كاتب مسرحي أمريكي في عصرنا ، اشتهرت قطعه التمثيلية في أمريكا وفي العالم القديم معا ؛ وكان لده في سنة ١٨٨٨ بمدينة نيويورك من أب ممثل شهير ، ودرس أوجين في هارفارد وقضى شباباً مضطرباً يعالج مختلف الأعمال ، وينتقل من بلد إلى بلد ، فاشتغل بحاثا عن الذهب ، واشتغل بحاراً ، وصحفياً مخبراً ، وممثلاً ، وأحرز خبرة كبيرة في مختلف الأعمال ؛ وأصابه السل وهو في بدء شبابه ، فأودعه أبوه أحد المستشفيات ، وهنالك كتب عدة قطع تمثيلية من فصل واحد ؛ ولما شفي عاد إلى كلية هارفارد وتلقى دروس الكتابة المسرحية على الأستاذ باكر ؛ ومثلت بعض قطعه المسرحية في الأقاليم فأصابت نجاحا . وفي سنة ١٩١٩ ظهرت أولى قطعه الكبيرة بعنوان « ما وراء الأفق » Beyond the Horizon ، فنالت شهرة كبيرة ؛ وفي سنة ١٩٢١ ظهرت « الأمبراطور جونس » Emp · Jones فزادت في شهرته ؛ وفي سنة ١٩٢٢ ظهرت « أنا كرستي » Anna Christie ، ومن أشهر قطعه رواية « القرد الفزير الشعر » The Hairy Ape وقد مثلت بنجاح عظيم في نيويورك ولندن . وظهرت بعد ذلك عدة قطع اشتهرت كلها في العالمين الجديد والقديم ومثلت في جميع العواصم الكبرى ، ومنها : Lazanus laughed (١٩٢٧) و Strange Interlude (١٩٢٨) . وقد امتازت روايات أونيل بأنها تعرض المحادثات النفسية للأشخاص على المسرح في ثوب جديد ساحر ، واشتهر بعضها بالتطويل حتى إنها لتبلغ تسعة فصول ، وتستغرق في تمثيلها خمس ساعات ، ومع ذلك فقد اشتهرت بقوتها وعميق تأثيرها . وقد تقلب أونيل في الكتابة بين عدة مذاهب «الحقيقي» و«التعبيري» والرمزي والنفسي ؛ وهو لا يعنى بشيء من الآراء والمذاهب السياسية والاقتصادية ، وكل ما يعنيه هو الفكرة الانسانية ، وما تعرضه في الحياة الواقعة ؛ ومعظم الخواتم في قطعه تعرض الخيبة والفشل ، ويهزم الأشخاص لا بخطئهم أو تقصيرهم ولكن بفعل الحظ والمصادفة ، وهي مؤثرات يبغضها أونيل ويرى أنه لا حق لها أن تؤثر في حياة الفرد

جائزة نوبل للعلوم الطبيعية والكيمياء

ومنحت جائزة نوبل للعلوم الطبيعية للعلامة النمسوي الدكتور هيس والعلامة الأمريكي الدكتور هندرسون مناصفة بينهما ، ومنحت جائزة نوبل للكيمياء للعلامة الألماني الدكتور هيلاندي دربي من معهد برلين

وفاة شاعر مجري كبير

نعت الينا أنباء بودابست الأخيرة الكاتب والشاعر المجري الكبير ديشو كوشتولاني D. Koszolanyi ، توفي في الثالث من نوفمبر بمنزله في بودابست بشارع تابور بعد مرض طويل . وكان مولده بقرية زبانكا من أعمال جنوب المجر ؛ وتلقى دراسته بجامعة بودابست ؛ واشتغل بادىء ذي بدء بالصحافة ؛ ثم كتب بعض القصص ونظم الشعر ؛ وترجم إلى المجرية عدة قطع خالدة من شكسبير ، وموليير ، وموباسان ، وفلده ، وغيرهم من الشعراء المحدثين من كل قطر وكل لغة . ومن أشهر مؤلفاته « الشاعر الدموي » وهي قصة رائعة عن عصر نيرون ، وقد ترجمت الى الانكليزية (The bloody Poet) ؛ وهو شاعر مجدد بمعنى الكلمة وقد استطاع أن يصوغ أعقد المسائل المعقدة المحدثة في أجمل

الأساليب وأروقها ، ومن نظمه المجموعات الآتية : « بين جدران أربعة » (١٩٠٧) « أنين طفل » (١٩١٠) « البحر » (١٩١٢) « أخي » (١٩١٥) « بوبي » (١٩١٦) « الخبز والنبيذ » (١٩٢٠) « أنين رجل محزون » (١٩٢١) العارية (١٩٢٧) وغيرها ، وقد ترجمت معظمها الى الانكليزية

في الأكاديمية الفرنسية

في الأنباء الأخيرة أن ثلاثة أعضاء جدد قد انتخبوا للجلوس في الأكاديمية الفرنسية والانتظام في سلك الخالدين ، وهم الأميرال لاكاز وقد انتخب مكان السياسي الكبير جول كامبون ، والمونسنيور جرانت وقد انتخب مكان المؤرخ الكبير بييردي نولهاك ، والمسيو جاك دي لا كرايتل وقد انتخب مكان الشاعر والقصصي الكبير هنري دي رينيه

وينتمي كل من الأعضاء الجدد إلى طراز خاص من التفكير ، فالأميرال لاكاز من رجال الحرب ، ولكنه كاتب وخطيب كبير ؛ وهو اليوم في الخامسة والسبعين من عمره ، وكان وزيراً للبحرية ، وقائداً لأسطول الغواصات أيام الحرب الكبرى ؛ ومن تقاليد الأكاديمية أن يمثل فيها دائماً الى جانب أبطال الأدب ، أبطال العسكرية البارزين في التفكير والثقافة مثل الماريشال فوش الذي كان من أعضائها

وأما المونسنيور جرانت ، فهو على رغم كونه من رجال الدين ، كاتب ومؤرخ كبير ؛ وهو دكتور في الآداب ، وقد انتخب منذ سنة ١٩٢٨ لمنصب الأسقف ، وكان من قبل مديراً للمعهد الكاثوليكي في ليل ؛ وله ثبت حافل من الكتب والمصنفات المختلفة نذكر منها : « عيوب التربية المنزلية الحالية » « بوسويه في متز » « تطور الشعائر والعادات في باريس منذ الثورة إلى عصر الكونكوردا » « شهداء سبتمبر سنة ١٧٩٢ » « رسالة إلى الشرق » وكثير غيرها ، وهو خطيب مفوه ومحاضر بارع ، وقد اشتهر بمحاضراته الدينية والاجتماعية التي يلقيها من آن لآخر في العواصم الأوربية المختلفة

وأما جاك دي لا كراتيل فهو كاتب وقصصي كبير ، وقد ولد بمصر ونشأ بها ؛ وكان بمصر في العام الماضي وألقى بعض محاضراته في القاهرة والاسكندرية ؛ وهو من أساتذة الشباب في القصة المعاصرة ، بيد أنه يميل إلى النزعة القديمة ، وينتمي بنوع خاص إلى مدرسة الأب « بريفوست » ؛ ويؤثر الاستعراض الهادئ للأحداث والفواجع ، وأسلوبه حاد ولكنه واضح . ومن أشهر قصصه « الحب الزوجي » و « الأسقف المالية »

أنباء الزمن في أخبار اليمن

أصدرت « مجلة الأسلام » Der Islam الألمانية فيما تصدره من دراسات لتاريخ الشرق الاسلامي وحضارته القسم الأول من مؤلف هام عن تاريخ اليمن ، هو « أنباء الزمن في أخبار اليمن » ليحيى بن الحسين بن المؤيد اليمني . وقد وقف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه ومهد له في مقدمة طويلة بالألمانية الدكتور محمد عبد الله ماضي عضو بعثة الامام محمد عبده ، ونال بتقديمه إجازة الدكتوراه في مايو الماضي . وهو يطبع لأول مرة عن مخطوط قديم ، ويتناول تاريخ اليمن في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع من الهجرة من سنة ٢٨٠ إلى سنة ٣٣٢ هـ . وقد أهدى الناشر ثمرة مجهوده إلى روح المرحوم الامام محمد عبده اعترافاً بفضله ومآثره ؛ وسنعود إلى دراسة هذا السفر في فرصة أخرى

فكرة العصبية عند ابن خلدون

أصدرت مجلة «الاسلام» الألمانية كذلك في مطبوع خاص رسالة بالألمانية عن « فكرة العصبية في مقدمة ابن خلدون » « Der Asabija Begriff in der Muqaddima Ibn Halqun » وهي الرسالة التي تقدم بها صديقنا الدكتور طاهر خميري مدرس اللغة العربية بكلية همبورج الى نيل إجازة الدكتوراه . ويشرح المؤلف نظرية الفيلسوف ابن خلدون في « العصبية » ، وأثرها في القبيلة وتكوين الملك بطريقة نقدية مقارنة ، وسنعود أيضاً الى استعراضها ودراستها في فرصة أخرى

الفنجان المفضل ... من البن البرازيلي تجده في
مخازن البن البرازيلي

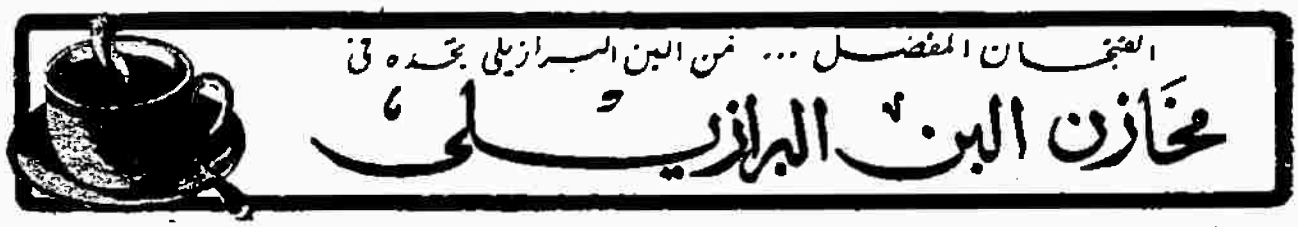

العالم المسرحي والسينمائي

التأليف والترجمة للمسرح

حديث للأستاذ زكي طليمات

لناقد « الرسالة » الفني

قبلت الفرقة القومية استقالة الأستاذ طليمات ، كما ألغت وزارة المعارف انتدابه للعمل في هذه الفرقة ، فحرم المسرح في مصر من جهود شاب نشط مثقف أرسلته الحكومة الى فرنسا ليدرس التمثيل والاخراج كي تنتفع به في النهوض بهذا الفن

ولسنا ندري حقيقة الدوافع التي حدت بالأستاذ طليمات الى تقديم استقالته ، ولكننا علمنا أنه ضمنها كتابه الذي رفعه الى الأستاذ الكبير محمد العشماوي بك وكيل وزارة المعارف ، ولذلك قصدت الى الأستاذ طليمات وسألته أن يطلعني على صورة من هذا الكتاب ، فأبى ورفض أن يدلي بأية تفاصيل ، ولكنه أمام الالحاح صرح بما يلي :

« لم أستقل لامن أجل زيادة مرتب أوطلب مركز أوخلافه ، وإنما استقلت لأنني غير قادر على تقوية ضعف أرى الفرقة تنساق اليه يوماً بعد يوم

كنت مغلول اليدين مشدوداً الى خشبة تعذيب ، أرى وأتألم وأصيح ولا يستمع لي أحد ، وهذا عذاب لا يطاق

فاستقالتي إنما هي لأراحة ضميري »

ولم يرض الأستاذ طليمات أن يزيد كلمة على هذا التصريح بل جعل ينتقل بالحديث من موضوع الى آخر حتى عرض لنا موضوع التأليف والترجمة للمسرح فوجهت اليه السؤال التالي :

مارأيك في الروايات المصرية التي أخرجتها أو اطلعت عليها ؟

فأجاب « رأيي أن المسرحية المصرية لم تستكمل بعد مقومات نضوجها ، وما برحت تفتقر إلى الطابع الأصيل الذي يميزها عن الرواية الغربية ، إذ لا يخفى عليك أن الجمهور المصري لم يتعرف الى المسرحية في اللسان العربي إلا منذ سبعين عاما ، والأدب القديم خلو منها على الرغم مما يذخر به من المخلفات الممتعة في مختلف العلوم والفنون

أدبنا العربي الحديث يفتقر الى الوراثة المهذبة في فن صياغة القطعة المسرحية . وليست له تقاليد فيها ، فنحن ما برحنا في دور النقل والتقليد والاستساغة ، نأخذ عن المسرح الغربي في صياغة مسرحياتنا وننحو نحوه ، ولابد لنا أن نجتاز هذه المرحلة قبل أن يستقر وضع أصيل للمسرحية المصرية . غير أن هذا لا يحجزني عن التصريح بأن بيننا نفرا من المؤلفين المصريين قد وفقوا كثيرا في تأليف روايات متينة البناء قوية الحبكة جاء حوارها قويا في سلاسة وسهولة . فهنالك أمثال : (ابراهيم رمزي) ، (عباس علام) ، (المرحوم محمد تيمور) يأتون في مقدمة هذا النفر . وجاء أخيراً (توفيق الحكيم) فأضاف ذخيرة جديدة إلى محصولنا في آداب المسرحية المصرية

وأهم ما آخذه على أكثرية المؤلفين المصريين أنهم لا يحسنون العدة للتأليف ، فتحصيلهم سطحي هزيل ، ولذلك لم يكن غريباً يكون نتاجهم فجاً . وأعرف ممن يكتبون للمسرح من لم يقرأ رواية أجنبية واحدة ، فاذا سألته عن شغفه بالتأليف أجابك في زهو أنه مواظب على حضور التمثيل في فرقة فلان أو فلانة

وأبين مواطن الضعف في المسرحية المصرية جهل بصياغة الرواية وحبكة حوادثها في منطق سليم يستثير اهتمام الجمهور في غير افتعال أو خروج على المعقول ، كذلك ميل إلى معالجة الموضوع بطريقة سطحية يُهدر فيها جانب الشخصيات في الرواية فيبدون تحفاء مهازيل من حيث التحليل النفسي . أما الأسلوب الذي يكتبون به فتعلوه مسحة من التكلف والنزوع إلى الاتيان بمهجور اللفظ والمبالغة في سرد المترادفات والجود بالألفاظ في إسراف معيب . فاذا خلا من هذه العيوب في بعض الأحايين ، فلكي يقع في قص الحديث والسرد . وإذا قلت إن قليلاً ، وقليلا جداً من مؤلفينا يحسنون جدل الحوار لما قررت غير الواقع .

وأعتقد أنه يجب أن يمر زمنٌ طويل حتى تحسن صناعة تأليف الرواية المسرحية . والعلة فى هذا ترجع إلى أننا نعمل فى جديد دخيل فى آدابنا

فقلت له : « وما رأيك فى الروايات التى تترجم للمسرح المصرى . ومن هو أحب المؤلفين إليك ؟ » وقد أجابنى قائلاً « أكثر هذه المترجمات من هزيل الروايات الغربية ذات الصبغة القاتمة Melodrame أو ذات المواقف العنيفة المفتعلة ، وقد تهافت أصحاب الفرق التمثيلية على نقل هذا النوع من الروايات لسهولة اخراجه على المسرح ، ولأن نقله إلى العربية لا يحتاج إلى الكثير من العناء الذى يتطلب زيادة الأجر فى نفقات الترجمة . هذا فضلاً عن أن هذه الروايات تستهوى الأكثرية الغالبة من الجمهور ، وهى أكثرية ساذجة التفكير لا تميل إلى إعمال الروية فيما يقدم إليها على المسرح . ولا يخفى عليك أن الجمهور المصرى لم يتعود إشغال الفكر فيما يراه فى دور اللهو ، ولم يطالعه فن التمثيل باللسان العربى إلا منذ سبعين عاماً ، وفن التمثيل ظاهره لهو وباطنه تهذيب وتثقيف

ومن العجيب أن كثيراً من روايات « موليير » وبعض روايات كورنى وراسين ، وهم من عباقرة المؤلفين المسرحيين قد نقلت إلى العربية فى أوائل عهد مصر بالتمثيل ولكنه كان نقلا مشوهاً مسخت فيه معالم تلك الروائع الفنية فخرج بعضها يتعثر فى أسلوب من العامية والبعض الآخر يتنكر فى أسلوب ركيك محشو بالسجع مطبوع بالتعابير (الكليشيه) التى مج استعمالها وأنكرتها الآذان

وتقدمت عملية النقل فى السنوات الأخيرة ، وتنبهت وزارة المعارف أخيراً إلى ضرورة تغذية المسرح المصرى ببعض من نفائس الأدب المسرحى فترجمت عدداً منها ترجمة أنموذجية ، وقامت بطبعها متوخية فى عملها هذا أن يطالع المتأدبون على أنفس الذخائر الفنية فى المسرح الغربى ، وأن يتأثر بطابعها من يعالجون التأليف المسرحى فى مصر . ولاغنى لنا عن المسرح الغربى فى هذه المرحلة ، مرحلة الاستساغة ، ولكن هذا يجب ألا يصرفنا بأى حال عن العناية بالرواية المصرية وتشجيع مؤلفيها . ويجب ألا يكون قياسنا فى الحكم عليها مايعمر رؤوسنا من آثار توابغ المسرح الغربى ، فنحن ما برحنا فى دور المحاولة ، محاولة جعل الرواية المسرحية شعبة من أدبنا المصرى الحديث

والاحظ أن أكثر مترجماتنا مأخوذ من الأدب الفرنسى ، بل يكاد يكون مسرحنا (لاتينياً) فى نزعته ، وما هذا بعجيب فثقافتنا لاتينية منذ القدم كما أن مزاجنا يكاد يتشابه بالمزاج اللاتينى ، وذلك بحكم أننا من أبناء شواطئ البحر الأبيض المتوسط ومصر هى الضفة المقابلة لايطاليا

ولكن ما أحوجنا إلى أن يتعرف الجمهور والمتأدبون إلى آثار الأدب الجرمانى وأدب الشمال والأدب الأمريكى الشاب الذى هو خلاصة آداب مجتمعة ، فمسرحنا لم يتعرف بعد إلى « أبسن » النرويجى و(استرنبرج) السويدى و(هوبتمان) الألمانى و(أوجين أونيل) الأمريكى

وأحب المؤلفين المسرحيين إلى هم (موليير) الفرنسى ، و(أبسن) النرويجى ، و (شاكسبير) الانجليزى . ولى ولع خاص بمطالعة أعمال موليير لأنها علمتنى الاعتدال (La mésure) ، وهى صفة أقر بافتقارى إليها ، وطالما كان حظى الصغير منها سببا فى أخطاء أتيتها فى حياتى ، ولأن فى موليير تجتمع كاملة شخصيات الشاعر الانسانى ، والكاتب المسرحى والممثل ، فهو رجل مسرح بحق

وتهزنى مآسى شاكسبير بروعتها ، وفيض عواطفها ، وهى مآس عاطفيه تركزت فيها الانسانية بأسرها

أما (إبسن) فهو أبو المسرح الحديث وأستاذ أساتذة نوابغ المسرح الغربى ، وهو الطود الشامخ وغيره الكثبان الرملية والتلال . وفى ضباب مآسيه غموض الحياة وظمأ المعرفة الذى لاتنقع علته ، وفى نضال شخصياته أروع مآسى الحياة الفكرية »

قلت له وما رأيك فى استقدام الخبير الفنى الذى تنوى وزارة المعارف استقدامه من الخارج ؟ فأجاب « سبق أن صرحت برأيى فى ذلك ، وهأنذا أكرر ما قلته : وهو أن فى استقدامه ما قد يبصرنا بما خفى علينا الأخذ به من وسائل ترقية المسرح المصرى وإذاعة آثاره ؛ وأرجو أن توفق الوزارة فى اختيار أحد الرجال البارزين فى المسرح الأوربى ؛ ولعل فى استقدامه واضطلاعه بشؤون الفرقة القومية ما يقضى على أسباب الفوضى المنتشرة فى هذه النشأة الجديدة ، وهو الأمر الذى عجزت عنه وأعيانى أمره »

يوسف تادرس